مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسى
للدراسات الآبائية
بالقاهرة
نصوص آبائية – ٥٥

WWW.Defa3yat.Com
Electronic Christian Library

المقالة الرابعة
ضد الآريوسيين

ترجمة
د. وهيب قزمان بولس
مراجعة
لجنة الترجمة والمراجعة
بالمركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية

مايو ٢٠٠١م

اسم الكتاب: المقالة الرابعة ضد الآريوسيين
اسم المترجم: د. وهيب قزمان بولس
الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس - المركز الارثوذكسى للدراسات الآبائية بالقـــاهرة: ٨ (ب) ش إسماعيل الفلكى محطة المحكمة - مصر الجديدة
ت : ٢٤١٤٠٢٣
E- mail: santonio @ ritsec 3. Com. eg
المطبعة: دار يوسف كمال للطباعة
٢ شارع المدارس - حدائق القبة
ت : ٨٢٣٥٧٨
رقم الإيداع: ٨٥٧٤ لسنة ٢٠٠١م
الترقيم الدولى: I..S.B.N. 966 – 5057 – 31-0

مقـــــدمــــــــة

سبق أن نشرنا المقالة الأولى ضد الأريوسين سنة ١٩٨٤، المقالة الثانية سنة ١٩٨٧، والمقالة الثالثة سنة ١٩٩٤. وها نحن الآن ننشر المقالة الرابعة ضد الاريوسيين.

يلاحظ أن هذه المقالة التى ننشرها هنا - هى مقالة قائمة بذاتها، غير المقالات الثلاث ضد الاريوسيين للقديس أثناسيوس، إذ لم يرد ذكرها أو الأقتباس منها فى المخطوطات القديمة على أنها من كتابات القديس أثناسيوس، مثل المقالات الثلاث الاولى. ويؤكد الكاردينال نيومان على عدم إنسجام هذه المقالة مع محتويات المقالات الثلاث الاخرى، وخاصة بالنسبة لاستخدامها مصطلح "المساوى فى الجوهر" (هوموأوسيوس) الذى ورد بالفصلين[١] ١٢،٩ دون باقى المقالات، مما يلقى بظلال من الشك على أصالة نسبة هذه المقالة للقديس أثناسيوس. وإن كان من المرجح أنها كُتبت بواسطة شخص كان وثيق الصلة بالقديس أثناسيوس أو من تلاميذه وذلك لما تحويه المقالة من دفاع عن لاهوت المسيح ضد الهرطقات التى ظهرت فى ذلك الوقت، وهو الدفاع الذى يتفق مع خط المقالات الثلاث الأولى، بالإضافة إلى كثرة استشهادها بهذه المقالات، وبباقى أعمال القديس أثناسيوس، كما أشرنا فى هوامش الرسالة.

ويبنى كاتب المقالة أساس بحثه، على أن كلمة الله وحكمته موجود، وأنه واحد مع الآب فى الجوهر، ثم يبدأ فى تفنيد الزعم القائل بأن الكلمة ليس أقنوماً متميزاً عن الآب، وبعد أن يدحض الأخطاء التى وقع فيها كل ما سابيلوس[٢] وآريوس، فإنه يرفض النتائج المترتبة على وجود بدءين أو أصلين للاهوت، ويؤكد على أصل واحد، وأن الكلمة مولود من الله الآب بالطبيعة، كما يوضح أن المسيح أزلى وملكوته أزلى أيضاً، وذلك ضد المقاومين لأزلية شخص المسيح، مفنداً زعم القائلين بأن الكلمة لم يكن له وجود سابق على تجسده.

ويستند كاتب الرسالة إلى نص يوحنا ٣٠:١٠ لتفنيد مزاعمهم، فسأل هؤلاء المقاومين: بأى معنى يكون الآب والمسيح "واحداً". ويقدم إجابته التى تختلف عن إجابة سابيليوس فصول (٩ ، ١٠)، وإجابة مارسيللوس[٣] فصول (١١ ،١٢)، مستنداً إلى شرحه القائم على الميلاد الإلهى الأزلى للابن الكلمة.

ثم يفحص تعليم مارسيللوس الذى نتج عن حدوث تغير فى الطبيعة الإلهية، هذا التغير يُسمى التمدد Dilatation متهماً إياه بالسابليانية، ويتحول الكاتب بعد ذلك إلى دحض أفكار مارسيللوس، طارحاً تساؤله: ما الذى يعنيه أتباعه بكلمة "الابن"؟ وهل يقصدون

١ – مجرد المسيح الإنسان؟

---

[١] قُسم النص إلى فصول تحمل الأرقام من ١ – ٣٦.

[٢] أنظر الملاحظة رقم ٤ عن سابيلوس ص ١٠.

[٣] أنظر ملاحظة رقم ١٦ عن مارسيلو ص ١٩.

أو ٢ – اتحاد الكلمة بالإنسان؟

أو ٣ – الله الكلمة متجسداً؟

وكانت الإجابة الأخيرة هى الصحيحة بالطبع، وهذه النقطة هى التى قادت إلى مناقشة نصوص العهد القديم (فصل ٢٤).

أما الجزء الختامى من هذه المقالة فهو نقطة تحول فى المناقشة ويوضح أن الكتاب المقدس يعلن أن الابن هو هو الله "الكلمة".

وفيما عدا الفصلين (٦،٧) وربما الفصل (٢٥)، فإن هذه المقالة الرابعة تشكل عملاً متجانساً وكاملاً، إن لم يكن قطعة متماسكة من الجدل اللاهوتى الرصين.

وفيما يلى موجز لمحتويات فصول المقالة:

فصل (١) مقدمة المقالة، ومحتواها الأساسى، حول الشخصية الأزلية الواحدة لابن الله "الكلمة".

(٢–٥) فى أنه يجب على الذين يرفضون الأريوسية، وهم يتجنبون السابليانية، أن يقبلوا الميلاد الأزلى للابن.

(٦،٧) شرح إتضاح الله "الكلمة" بعكس فكر الآريوسيين.

(٨) عن أزلية ملكوت المسيح وشخصه: إذ أن الواحد مُتضمن فى الآخر.

(٩–١٢) بأى معنى يكون المسيح والأب واحداً أو لا يكونان؟ ومعنى عبارة الميلاد الأزلى للابن.

(١٣–١٤) بيان أن تعليم التمدد والإنكماش فى الله يُسقط التمايز بين الأقانيم.

(١٥–٢٤) الابن والكلمة شخص واحد. تفنيد الافتراضات الثلاثة حولها. ودحض المناقشة المستمدة من العهد القديم تدعيماً لهذه الإفتراضات.

(٢٥) دحض أخير لتعليم التمدد فى الله.

(٢٦–٣٦) فى تأكيد الكتاب المقدس على أن الابن هو الكلمة، وتفنيد القول بأن لقب الابن قاصر فقط على الإنسان يسوع.

مصدر الترجمة:

لقد ظهر الأصل اليونانى لهذه المقالة مع باقى المقالات فى المجلد ٢٦ من مجموعة الآباء اليونانية مينى Migne ، PG26:12-526 . وتمت الترجمة العربية عن النص اليونانى المنشور فى "سلسلة آباء الكنيسة" EIIE ، "كتابات أثناسيوس الأسكندرى الكبير مجلد ٣"، إصدار مكتبة "غريغوريوس بالاماس" بتسالونيكى باليونان سنة ١٩٧٥، والمجلد يحوى النص اليونانى القديم فى الصفحة اليسرى ويقابله ترجمته إلى اليونانية الحديثة فى الصفحة اليمنى. كما تمت مقارنة

الترجمة بتلك التى أنجزها العالم الكاردينال نيومان Newman بالإنجليزية سنة ١٨٨٤، والمنشورة بالمجلد الرابع من المجموعة الثانية من "سلسلة آباء نيقية وما بعد نيقية" N.P.N. 2nd Series.

بركة صلوات شهود الإيمان القديسين وصلوات قداسة البابا شنوده الثالث تكون معنا، وللإله القدوس المحب الثالوث المحيى كل مجد وسجود وتسبيح، الآن وإلى الأبد. أمين.

أحد توما **المركز**

٢٢ أبريل ٢٠٠١ **الأرثوذكسى للدراسات الآبائية**

المقالة الرابعة ضد الآريوسيين

لأن "الكلمة كان الله" (يو ١:١)، فإن "الكلمة" هو إله من إله، وكما كُتب: "لهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين" (رو٥:٩)، وبما أن المسيح هو إله من إله، و"كلمة" الله وحكمته وابنه وقوته، الآن فليس هناك سوى إله واحد يستعلن فى الكتب الإلهية، لأن "الكلمة"، إذ هو ابن الإله الواحد، فإنه يُنسب إلى ذلك الذى هو منه، فالأب والأبن هما اثنان، ولكن ألوهيتهما واحدة وغير منقسمة وغير منفصلة. وهكذا يكون هناك بدء

واحد للاهوت وليس بدءين[١]، من ثم فإن هناك أصلاً واحداً. و"الكلمة" هو ابن بالطبيعة لهذا الأصل الواحد (الآب)، ليس كأنه أصل آخر بذاته كائن معه، ولا هو قد أتى (إلى الوجود) من خارج هذا الأصل الواحد. وإلا صار من هذا الإختلاف (فى الأصل) أصلان وأصول متعددة. ولكن الإبن (الذى هو) من ذلك الأصل الواحد، هو ابن ذاتى، وحكمة ذاتى وكلمة ذاتى. لأنه كما يقول يوحنا فى ذلك: "فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله"، لأن الله كان البدء (قبل الدهور)، وحيث إن الكلمة هو منه، فلهذا أيضاً "كان الكلمة الله". وإذ هناك بدء ومن ثم إله واحد، فالجوهر والكيان واحد، الذى هو كائن بالحقيقة، والذى قال: "أنا هو الذى أنا هو" (خر٣:١٤)، وهو ليس اثنين حتى لا يكون هناك بدءان. ومن البدء الواحد هناك ابن بالطبيعة، ابن حقيقى هو كلمته وحكمته وقوته، وغير منفصل عنه. وإذ ليس هناك جوهر آخر، لئلا يكون هناك بدءان، فإن الكلمة الذى هو من الجوهر "الواحد" لا ينحل، وهو ليس مجرد صوت ظاهرى، بل هو كلمة جوهرى وحكمة جوهرى، الذى هو الابن الحقيقى. لأنه إن لم يكن (الابن ابناً) جوهرياً، لكان الله يتكلم حيث إن (الله) ليس إنساناً، فإن كلمته أيضاً ليس بحسب الضعف البشرى[٢] (أى ليست ككلمة البشر)، لأنه حيث إن البدء هو جوهر واحد، هكذا كلمته وحكمته واحد، وجوهرى وكائن. ولأنه هو إله من إله، وحكمة من الحكيم، وكلمة من العاقل، وابن من الآب، هكذا هو من الأقنوم متأقنم، ومن الجوهر جوهرى وحقيقى، وكائن (بذاته) من الكائن.

فإن لم يكن (الابن) هو الحكمة الجوهرى والكلة الحقيقى، والابن الكائن بذاته، بل كان مجرد حكمة وكلمة وابناً فى الآب، لكان الآب نفسه ذا طبيعة مركبة من حكمة وكلمة. وإن كان الأمر هكذا، لتوالت سخافات كثيرة ولصار (الآب) هو والد نفسه، والابن يلد ذاته، ومولوداً من نفسه، أو لكان لقب الكلمة والحكمة والابن مجرد اسم فقط، بدون وجود حقيقى لمن له هذه الألقاب.

فلو لم يكن الابن موجوداً فإن الأسماء تكون خاملة فارغة، إلا إذا قيل إن الله هو ذاته الحكمة[٣] وهو ذاته الكلمة. لكن إن كان الأمر هكذا، فإنه يكون أب نفسه، وابن نفسه، يكون أباً حين يكون حكيماً، ويكون أبناً حين يكون حكمة، ولا تكون تلك الأشياء فى الله كصفة معينة، حاشا لمثل هذا الفكر المخزى، إذ ينجم عنه أن يكون الله مركباً من جوهر وصفة. وإذ يحوى الجوهر كل الصفات فإن اللاهوت الواحد، الذى هو غير منقسم، وبينما تكون كل الصفات موجودة فى الجوهر، (ففى هذه الحالة) فإن اللاهوت الواحد غير المنقسم يلزم أن يكون مركباً، لأنه منقسم

(١) تمثل هذه العقيدة أساس الرد على القائلين بإنبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً، وهو من يُعرف بأسم تعليم الفليوكا Filioque أى "ومن الابن" والذى ظهر فى الغرب فى القرن الـ١١.

(٢) القديس أثناسيوس: المقالة الثانية ضد الآريوسيين ٧:٢، مركز دراسات الآباء، القاهرة ١٩٨٧.

(٣) المرجع السابق: ١٩:٢، أنظر أيضاً الفصل الرابع من هذه المقالة.

إلى جوهر وعارض. لهذا ينبغى لنا أن نسأل هؤلاء الرجال غير الأتقياء: وإذا كان الابن قد أستعلن كحكمة الله وكلمته، فكيف يكون هو هكذا؟ فإن كان (قد أستعلن) كصفة، فهنا تظهر الحماقة، ولكن إن كان الله هو الحكمة ذاتها، فهذه هى حماقة سابيلوس[٤] لكن الابن هو وليد الآب ذاته بمعنى صحيح، كما فى تشبيه النور. لأنه كما أن هناك نوراً من النار، هكذا الكلمة من الله، والحكمة من الحكيم، والابن من الآب. لأنه بهذه الطريقة يبقى (الله) "الواحد" كاملاً بغير إنقسام، وابنه وكلمته ليس غير جوهرى وغير حقيقى، بل جوهرى بالحق.

لأنه إن لم يكن الأمر كذلك، فإن كل ما قيل يكون كلاماً نظرياً وساذجاً. لكن إن كان علينا أن نتجنب سخفهم هذا، فإن الكلمة يكون جوهرياً حقاً. لأنه كما أن هناك أباً حقاً، فإن هناك حكمة حقاً. ولهذا فإنهما اثنان، وليس الشخص نفسه هو أب وابن، كما زعم سابيليوس. بل إن الآب آب والابن ابن، وهما واحد، لأن الابن من جوهر الآب بالطبيعة، موجوداً ككلمته الذتى. هذ ما قاله الرب "أنا والآب واحد" (يو١٠: ٣٠). لأن الكلمة غير منفصل عن الآب، كما أن الآب لم يكن ولا يكون بدون كلمة أبداً، لذا قال الابن: "أنا فى الآب والآب فىّ" (يو١٤: ١٠).

وأيضاً، إن المسيح هو "كلمة" الله. فهل قائم بذاته؟، وإذ هو قائم، هل هو متحد بالآب؟ أم أن الله خلقه ودعاه كلمته؟. فإن كان هو قائماً بذاته حسب الافتراض الأول، وأنه إله، لصار هناك إذن بدءان، وبالتالى فإن الابن لن يكون من طبيعة الآب، ولم يأت من الآب ذاته؟ بل كائن من نفسه. لكن بالعكس، إن كان الابن) قد وُجد من خارج (الأب)، فهو إذن مخلوق. يبقى إذن أن نقول إن الابن هو من الله ذاته، لأن الذى من آخر هو واحد، والذى هو منه واحد أخر. ووفقاً لذلك يكون هناك إثنان إذن. لكن إن لم يكونا اثنين بل تخص الأسماء الشخص نفسه، فإن العلة والمعلول يكونان نفس الشخص، وكذلك أيضاً المولود والوالد يكونان نفس الشخص، وهذه هى بدعة سابيليوس، لكن إن كان (الابن) من (الأب)، ومع ذلك ليس آخر، لصار (الآب) هو الذى يلد والذى لا يلد فى آن واحد: الذى يلد لأنه بلد من نفسه، والذى لا يلد لأنه ليس إلا ذاته. فإن كان الأمر كذلك فإن نفس الشخص سيُدعى أباً وابناً بشكل نظرى. لكن إن كان من غير اللائق أن نقول بهذا، فإن الآب والابن يجب أن يكونا اثنين، وهما واحد لأن الابن ليس من خارج (الله)، بل هو مولود من الله. لكن إن أحجم أى شخص عن القول إنه مولود، وقال فقط بأن "الكلمة" موجود مع الله، فليحذر هذا الشخص لئلا بإمتناعه عن ذكر ما قيل فى الكتاب يقع فى حماقة جاعلاً الله كائناً ذا طبيعة مزدوجة. لأن من لا يسلّم بأن "الكلمة" هو من (الله) "الواحد"، بل كما

[٤] سابيليوس كان كاهناً فى برقة (الخمس مدن الغربية) وجاء إلى روما وبدأ ينشر بدعته فى أوائل القرن الثالث (حوالى سنة ٢١٠م) وكان سابيليوس يعلّم بأنه لا يوجد تمييز بين الأقانيم الإلهية، فهو يعتبر أن الله أقنوم واحد عُرف فى العهد القديم باسم الله، ثم ظهر هو نفسه باسم الابن أو المسيح فى التجسد، وبعد صعود المسيح، ظهر هو نفسه بأسم الروح القدس.

لو كان فقط مرتبطاً بالآب إنما يقدم جوهراً ثنائياً، لا يكون أى منهما أباً للأخر. ويقال نفس الشئ عن القوة. وقد نستجلى هذا الأمر أكثر، إن نظرنا إليه من جانب الآب، لأن هناك أباً واحداً وليس اثنين، والابن هو من هذا (الأب) الواحد. وبما أنه ليس هناك أبوان، بل أب واحد، فليس هناك بدءان بل بدء واحد، ومن هذا "الواحد" الابن كائن جوهرياً. لكن ينبغى أن نسأل الأريوسيين بطريقة عكسية. (لأنه ينبغى أن ندحض تعاليم أتباع سابيليوس من خلال حقيقة الابن، وأن نُفند تعاليم الأريوسيين من خلال حقيقة الآب).

فلنتساءل إذن، هل الله حكيم وليس بدون "كلمة"، أم أنه بلا حكمة وبلا "كلمة"؟ فإن كان بلا "كلمة" ولا حكمة حسب الافتراض الثانى، فهذا حماقة وهذيان. وإن كان الله حكيماً وناطقاً، فعلينا أن نسأل: كيف هو حكيم وناطق؟ هل يمتلك الكلمة والحكمة من خارج، أم من ذاته؟ إن كان من خارج، لابد أن يكون هناك شخص آخر قد أعطاها له، وقبل أن يأخذ كان بلا حكمة وبلا "كلمة". أما إن كان ذا حكمة و"كلمة" من نفسه، فواضح أن الكلمة ليس من العدم، ولم يكن هناك وقت كان فيه غير موجود، بل كان موجوداً على الدوام. لأن ذاك الذى هو صورة له كائن على الدوام. لكنهم إن كانوا يقولون إنه حكيم بالحق، وليس بغير "كلمة"، بل إن له فى ذاته حكمته الذاتى و"كلمته" الذتى، وإن ذلك ليس هو المسيح، بل ذاك الذى بواسطته قد خُلق المسيح، فعلينا أن نجيب قائلين: إن كان المسيح قد خُلق بواسطة ذلك "الكلمة"، فإنه سيتضح أن جميع الأشياء قد خُلقت بواسطته، ولكن هذا هو الذى يقول عنه يوحنا: "كل شئ به كان" (يو١:٣)، والذى يقول عنه المرنم: "كلها (الأعمال) بحكمة صنعت" (مز١٠٣:٢٤)، وبذلك يكون المسيح غير صادق عندما يقول: "أنا فى الآب"، لأنه يوجد آخر سواء فى الآب، وتصبح الآية: "والكلمة صار جسداً" (يو ١:١٤) غير صادقة حسب زعمهم. لأنه إن كان هذا الذى بواسطته خُلقت كل الأشياء، هو نفسه قد صار جسداً، بينما المسيح ليس هو "كلمة" الآب "الذى به كان كل شئ"، فالمسيح إذن لم يصر جسداً، ورما أخذ المسيح اسم "كلمة" (كمجرد لقب). لكن إن كان الآمر هكذا، فإنه أولاً: يوجد هناك أخر له نفس الاسم، وثانياً: لم تكن به كل الأشياء، بل بذلك الآخر الذى به خُلق المسيح أيضاً. لكن إن كانوا يقولون إن الحكمة موجود فى الآب كصفة، أو إنه هو ذاته الحكمة[٦]. فسينتج عن هذا تلك الأمور غير المعقولة السالفة الذكر. إذ سيصبح (الله) مركباً، لكونه أبداً وأباً لنفسه! فعلينا إذن أن نفحمهم ونسكنهم، على أساس أن الكلمة الذى هو فى الله لا يمكن أن يكون مخلوقاً، أو جاء من العدم. لكن إن كان ثمة "كلمة" قد وُجد فى الله، لوجب أن يكون هو المسيح الذى يقول: "أنا فى الآب والآب فىّ" (يو١٤:١٠)، والذى هو الابن الوحيد

[٦] أنظر الفصل الثانى من هذا المقال.

أيضاً. لهذا السبب، طالما أن شخصاً آخر لم يُولد من الآب. هذا هو الابن الواحد، الذى هو الكلمة والحكمة والقوة، لأن الله ليس مركباً بحسب طبيعة جوهره الذاتى، له الكلمة مولوداً منه، والذى بواسطته يخلق كل الأشياء ويدبرها. لأن سائر المخلوقات قد خُلقت "بالكلمة" والحكمة، وهو بحسب أحكامه يحفظ كل الأشياء (أنظر مز ١١٨: ٩١). ويُقال نفس الشئ بخصوص الابن، فإن كان الله بدون إبن إذن، فهو بدون عمل لأن الابن هو مولوده الذى به يعمل[٧]. لكن إن لم يكن الأمر هكذا، لنجم عن ذلك نفس المناقشات والسخافات الناتجة عن وقاحتهم.

٥ - جاء فى سفر التثنية: "وأما أنتم الملتصقون بالرب ألهكم، فجميعكم أحياء اليوم" (تث٤:٤). ومن هذا يمكننا أن نرى الفرق، ونعرف أن ابن الله ليس مخلوقاً. لأن الابن يقول" أنا والآب واحد" (يو ١٠:٣٠) و"انا فى الآب والآب فىّ" (يو ١٤:١٠)، لكن المخلوقات حين تنمو (فى الفضيلة) فإنها تكون ملتصقة بالرب، لأن الكلمة هو فى الآب بإعتباره من ذاته، لكن المخلوقات كائنات خارجة (عن الآب)، فإنها تلتصق به باختيارها، إذ هى بالطبيعة غريبة عنه. لأن أى ابن طبيعى هو واحد مع من ولده، أما الذى هو خارج، وقد جُعل أبنا (بالتبنى) فإنه يصير متصلاً بالعائلة.

لهذا يضيف على الفور: "أى شعب عظيم له إله قريب منه؟" (تث ٤:٧ س)، وفى موضع آخر يقول: "أنا إله قريب" (إر٢٣:٢٣). لأنه يقترب من المخلوقات إذ هى غريبة عنه. لكن لا يقترب من الابن، أما بالنسبة للابن - إذ هو ابنه الذاتى - فهو لا يقترب منه بل هو كائن فيه. وليس الابن ملتصقاً بالآب بل هو كائن معه وفيه. ولهذا يقول موسى أيضاً فى سفر التثنية نفسه: "صوته (الرب إلهكم) تسمعون، .... وبه تلتصقون" (تث١٣:٤). فمن يلتصق (بالرب) فإنما يلتصق به من خارج.

٦- أما بالنسبة للرد على مفهوم الأريوسيين الضعيف والبشرى، إذ يفترضون أن الرب كان محتاجاً حين قال: "دُفع إلىّ" و"أخذت" (مت ١٨:٢٨، ١٨:١٠)، وإن كان بولس الرسول يقول: "لذلك رفعّه" و"أجلسه عن يمينه" (فى ٩:٢، أف ٢:١، أنظر كو١:٣، والآيات المشابهة)، فإننا نجاوبهم أن ربنا بينما هو "كلمة" الله وابن الله فإنه قد لبس جسداً وصار ابن الإنسان لكى بصيرورته وسيطاً بين الله والناس، فإنه يخدم أمور الله من نحونا ويخدم أمورنا من نحو الله. وعندما قيل عنه إنه يجوع ويبكى ويتعب، ويصرخ إلوى إلوى، وهى آلامنا البشرية، فإنه يأخذها ويقدمها للأب، متشفعاً عنا، لكى بواسطته وفيه تبطل هذا الآلام[٨]. وحينما قال: "دُفع إلىّ كل سلطان" (مت١٨:٢٨) و "آخذها" (انظر يو١٠:١٨) و "لذلك رفعّه الله" (فى٩:٢). فإن هذه هى

[٧] المقالة الثانية ضد الآريوسيين ١٤١ والمقالة الثالثة ١١، مركز دراسات الآباء القاهرة ١٩٩٣.

[٨] المرجع السابق: المرجع السابق ضد الآريوسيين ٨:٢ و ٣٣:٣، ٣٤.

الهبات المفتوحة لنا من الله بواسطته. لأن "الكلمة" لم يكن فى احتياج إلى أى شئ فى أى وقت"[٩]، كما أنه لم يُخلق[١٠]. ولم يكن البشر قادرين (بذواتهم) أن يعطوا هذه (الهبات) لأنفسهم، ولكنها أُعطيت لنا بواسطة "الكلمة". لذا وكأنها معطاة له فهى تنتقل إلينا. ولهذا السبب تجسد، حتى بإعطائها له تنتقل إلينا[١١]. لأن الإنسان وحده (بدون وسيط) لم يكن مستحقاً أن يأخذ تلك الهبات، و"الكلمة" فى ذاته لم يكن محتاجاً إليها. لذا أتحد "الكلمة" بنا ونقل إلينا السلطان ومجدنا مجداً عالياً[١٢].لان "الكلمة" إذ تأنس، فقد رفع الانسان نفسه، ولأن "الكلمة" كان فى الإنسان فالإنسان نفسه قد نال (الهبات). لأن الإنسان قد مُجد ونال سلطاناً، عندما صار الكلمة جسداً، لهذا تُنسب تلك الأمور "للكلمة "، لانها قد اعطيت لنا بسببه . لان تلك الهبات قد اعطيت بسبب مجئ "الكلمه" في الجسد و كما ان "الكلمه" صار جسداً هكذا ايضاً نال الإنسان نفسه الهبات التى أتت بواسطة "الكلمه ". لان كل ما ناله الإنسان، قيل إن "الكلمة" نفسه قد ناله[١٣]، لكى يظهر أن الإنسان إذ كان غير مستحق أن ينال الهبات بسبب طبيعته، فإنه مع ذلك قد نالها بسبب "الكلمة" الذى صار جسداً. لهذا عندما يُقال إن شيئاً ما قد أُعطى للرب، يجب أن نعرف أنه لم يُعط له كمحتاج إليه، بل أُعطى للإنسان نفسه بواسطة "الكلمة". لأن كل من يتشفع من أجل آخر ينال هو نفسه الهبة، ليس كمحتاج إليها، بل لحساب من يتشفع لأجل.

٧- وكما أن الرب يأخذ ضعفاتنا، دون أن يكون ضعيفاً[١٤] ويجوع دون أن يكون محتاجاً للأكل، وهو يأخذ ضعفاتنا لكى يلاشيها. كما أنه - فى مقابل ضعفاتنا- يقبل أيضاً الهبات التى من الله، حتى أن الإنسان الذى يتحد به، يمكنه أن يشترك فى هذه الهبات. ولذلك يقول الرب "كل ما أعطيتنى.. قد أعطيتهم". وأيضاً "من أجلهم أنا أسأل" (يو ١٧:٧-٩) لأنه كان يسأل لأجلنا، أخذاً لنفسه ما هو لنا، ومعطياً لنا ما أخذه. لأنه عندما اتحد الكلمة بالإنسان نفسه، فإن الآب من أجل ابنه قد أنعم على الإنسان بأن يُمجد، وأن يُدفع له كل سلطان، وما شابه ذلك. لذا نُسبت كل هذه الأمور "للكلمة" نفسه، لكى ننال بواسطته كل هذه الأمور التى أُعطيت له.

---

[٩] المرجع السابق: ضد الآريوسيين ٤٣:١.

[١٠] المرجع السابق: ضد الآريوسيين ٤٣:١، ٦٥:٢، ٦٧.

[١١] المرجع السابق: ضد الأريوسيين ٤٢:١، ٤٥.

[١٢] المرجع السابق: ضد الأريوسيين ٤١:١، ٤٢.

[١٣] المرجع السابق: ضد الأريوسيين ٣٨:٣.

[١٤] المرجع السابق: ضد الآريوسيين ٦٠:٢، ٣٧:٣.

فكلما أن "الكلمة" صار إنساناً لأجلنا، هكذا نحن نُرفع لأجله. فإن كان لأجلنا قد وضع نفسه (اتضح)، فليس من غير المعقول إذن أن يُقال إنه قد مُجد ورُفع لأجلنا، لهذا "أعطاه" (الآب) أى "أعطانا من أجله هو"، وقد "رفعه" أى "رفعنا نحن فيه". "والكلمة" نفسه، حينما نتمجد ونأخذ وننال معونة، كأنه هو نفسه الذى مُجد وأخذ ونال معونة، يقدم الشكر للآب، ناسباً ما لنا لنفسه قائلاً: "كل ما أعطيتنى.. قد أعطيتهم" (يو٨،١٧:٧).

٨- إن يوسابيوس ورفاقه، أى مجانين الآريوسية، ينسبون للابن بداية وجود، ومع ذلك يزعمون أنهم لا يريدون أن تكون له بداية لملكه. لكن هذا هراء، لأن من ينسب للابن بداية وجود، فمن الواضح جداً أنه ينسب له هراء، لأن من ينسب للابن بداية وجود، فمن الواضح جداً أنه ينسب له بداية لملكه. لقد صاروا عميان لدرجة أنهم يعترفون بما ينكرونه. وأيضاً الذين يقولون إن الابن هو مجرد اسم فقط، وإن ابن الله، أى "كلمة" الآب هناك وقت لم يكن (الابن) موجوداً، هذا أمر مضحك أيضاً. لأن أولئك الذين ينكرون وجوده على الإطلاق، غضبى من أولئك الذين يقبلون على الأقل بوجوده فى الزمان. وبنما هم يلومون الآخرين، فإنهم يعترفون بما ينكرونه. وإذ يعترف يوسابيوس ورفاقه بالابن، فإنهم ينكرونه أنه "الكلمة" بالطبيعة، زاعمين أن الابن يدعى كلمة بشكل نظرى ويعترف الآخرون به أنه الكلمة، وينكرون عليه أن يكون ابناً، معتبرين أن "الكلمة" يُدعى بالابن بشكل نظرى، وذلك بدون سند كالسابقين تماماً.

٩- "أنا والآب واحد" (يو٣٠:١٠). أنتم تقولون إن الاثنين واحد، وإن للواحد اسمين، أو إن الواحد منقسم إلى اثنين. فإن كان الواحد منقسماً منهما كاملاً، لأن كلاً منهما هو جزء وليس كلاً. لكن إن كان للواحد اسمان، فإن تلك هى هرطقة سابيليوس، الذى قال إن الابن والآب هما نفس الشخص، وبذلك أنكرهما كليهما، إذ أنكر الآب حينما يكون هناك ابن، كما أنكر الابن حينما يكون هناك أب. لكن إن كان الاثنان واحداً، فإنه من المحتم أن يكونا اثنين، لكنهما واحد حسب الألوهية، وحسب وحدانية

الابن مع الآب فى الجوهر[١٥]، ولكون "الكلمة". ومن الجهة الأخرى هما واحد لأن الله واحد، لأنه لو لم يكن الأمر كذلك، لكان قد قال: "أنا الآب"، أو "أنا والأب أكون". لكنه فى الحقيقة يشير إلى الابن فى لفظة "أنا"، ويشير إلى الذى ولده "الأب"، وفى قوله "واحد" يشير إلى اللاهوت الواحد، ووحدانيته مع الأب فى الجوهر. لأنه لا يمكن أن يكون نفس الشخص هو الحكيم والحكمة معاً. كما لا يمكن أن يكون الآب هو نفسه "الكلمة"، لأنه من غير المعقول أن يكون الشخص أباً لذاته، لكن التعليم الإلهى يعرف الآب والابن، والحكيم والحكمة، والله "والحكمة"، ويحافظ على (الجوهر) بغير انقسام ولا انفصال ولا انحلال من كل الوجوه.

١٠- لكن إن كان أى شخص يسئ فهمنا ويظن أننا نكرز بإلهين عند سماعه أن الآب والابن اثنان، (وهو ما يختلقه البعض لأنفسهم، ومن ثم يهزأون بنا قائلين: أنتم تعتقدون بإلهين)، فعلينا أن نجيبهم على ذلك ونقول: إن كان الاعتراف بآب وابن هو اعتقاد بإلهين، يتبع ذلك على الفور أنه إن أعترفنا بواحد فقط فيلزم أن ننكر الابن ونتبع سابيليوس. لأنه إن كان الحديث عن اثنين معناه السقوط فى الوثنية، فإن الحديث عن واحد يجعلنا نسقط فى بدعة سابيليوس. لكن ليس الأمر كذلك، حاشا ! ولكن كما أنه حين نقول إن الأب والابن اثنان، فإننا لا نزال نعترف بإله واحد، هكذا أيضاً عندما نقول إن هناك إلهاً واحداً فى اللاهوت، وأن كلمة الآب لا ينحل ولا ينقسم ولا ينفصل عن الآب. ولتكن النار والشعاع الخارج منها مثالاً أمامنا، فهما (أى النار وشعاعها) اثنان فى الوجود والمظهر، لكنهما واحد فى أن شعاع النار هو من النار بدون انقسام.

١١- لقد سقط مارسيللوس[١٦] وتلاميذه فى نفس حماقة الآريوسيين. لأن الآريوسيين أيضاً يقولون إن الابن خُلق لأجلنا، لكى يخلصنا. وكأن الله انتظر حتى يوجد "الكلمة" لكى نخلُق نحن، كما تقول طائفة منهم، أو انتظر لكى يُخلق (الكلمة) كما تزعم طائفة أخرى. فالآريوسيون إذن أكثر تعاطفاً مع الناس مما مع الابن، لأنهم يزعمون أننا لم

---

(١٥) أنظر الأريوسيين ٣:٤، راجع د. وهيب قزمان: النعمة عند القديس أثناسيوس، ج٢، إصدار مركز دراسات الأباء بالقاهرة سنة ١٩٩٤، ص ٨٩-١٠٣.

(١٦) مارسيللوس كان أسقفاً على أنكيرا بمقاطعة غلاطية وكان من المدافعين عن إيمان نيقيا، ولكنه فيما بعد سقط فى ما يشبه عقيدة الأريوسيين، من جهة عدم ازلية الابن، ويقول إن الابن ليس هو الكلمة.

نُخلق لأجله، بل هو الذى صار لأجلنا، حتى أنه لذلك قد خُلق ووجُد، لكى يخلقنا الله بواسطته. ولأنهم عديمى التقوى، فهم يعطون الله أقل مما يعطون لنا، لأننا حت ونحن صامتداون، غالباً نكون نشيطين فى التفكير، فنصيغ نتائج تفكيرنا فى شكل صور. لكنهم يجعلون الله حاملاً فى صمته، وحين يتكلم حينئذ تكون له قوة، كأنه هو صامت لا يقدر على الخلق، وحينما يتكلم يبدأ فى الخلق.

لأنه من العدل أن نسألهم، ما إذا كان "الكلمة" كاملاً حين كان فى الله، حتى يصبح قادراً على الخلق. فإن كان ناقصاً حين كان فى الله، لكنه صار كاملاً عندما وُلد، فنكون نحن إذن سبب كماله إن كان قد وُلد لأجلنا ونال القدرة على الخلق لأجلنا، لكنه إن كان كاملاً عندما وُلد، فنكون نحن إذن سبب كماله إن كان قد وُلد لأجلنا ونال القدرة على الخلق لأجلنا، لكنه إن كان كاملاً فى الله حتى يستطيع أن يخلق، فإن ميلاده يكون بلا لزوم، لأنه كان يمكنه أن يخلق العالم حتى وهو فى الآب، لهذا فسواء وُلد أو لم يُولد فإن ذلك ليس لأجلنا، بل لأنه هو منذ الأزل من الآب. لأن ميلاده لا يثبت أننا مخلوقون، بل يثبت أنه من الله، لأنه كائن حتى قبل خلقتنا.

١٢- إنهم يتجاسرون على ترديد نفس الأمور غير المعقولة بخصوص الأب، لأنه إن كان وهو صامت، لم يقدر أن يخلق، فبالضرورة يكون قد نال قوة على الكلام عندما ولد (الكلمة) كما يزعمون. ومن أين نال هذه القوة؟ ولماذا؟ وإن كان الآب قادراً على الخلق "والكلمة" فيه، فإنه لم يكن محتاجاً إلى الولادة، طالما كان قادراً على الخلق حتى وهو صامت. ثم إن كان "الكلمة" (كائناً) فى الله قبل ولادته، إذن فإن ميلاده يعنى أنه خارج الله. فإن كان الأمر كذلك، فكيف يقول "الكلمة": "أنا فى الآب والآب فىّ" (يو١٤: ١٠)؟ وقوله إنه فى الآب الآن، يعنى أنه كان فيه دائماً كما هو الآن. ولا حاجة بعد لما يقولونه "إنه لأجلنا قد وُلد، وأنه بعد أن خلقنا يعود كما كان". لأنه لم يكن هو فى أى حال ليس هو عليه الأن، وليس هو الآن ما لم يكن عليه قبل الآن، بل هو هو كما كان دائماً، وفى نفس الحال، وبنفس الصفات، وإلا فسيبدو أنه ناقص ومتغير. لأنه إن كان (الحال) الذى كان عليه، هو ما سوف يكون عليه بعد ذلك - وكأنه لم يكن هكذا الآن - فمن الواضح أنه الآن هو غير ما كان

عليه، وما سوف يكون عليه. أعنى إن كان هو قبلاً فى الله، وأنه فيما بعـد سـوف يكون أيضاً فى الله، فيتبع ذلك أن "الكلمة" ليس فى الله الآن. لكن الرب يدحض زعم هؤلاء الأشخاص حينما يقول: "أنا فى الآب والآب فىّ، وهكذا فهو يكون الأن، كمـا كان منذ الأزل. ليس أنه كان فى وقت ما مولوداً، ولم يكن هكذا فى وقـت آخـر، وليس أن الله كان صامتاً مرة، ثم صار ناطقاً، بل هنـاك أب كـائن منـذ الأزل[١٧] وهناك ابن الذى هو "كلمته"، ليس "كلمة" بالاسم فقط[١٨]، ولا بشكل نظرى بل هـو فى وجوده مساو للأب فى الجوهر[١٩] وليس مولوداً لأجلنا بل نحن الذين خُلقنا لأجله هو.

لأنه إن كان الابن قد وُلد لأجلنا، وعند ميلاده نحن خُلقنا، وبميلاده تكونت الخليقـة، ثم يعود لكى يكون ما كان عليه قبلاً، فإن ذاك الذى وُلد، يعود لكـى يكـون غيـر مولود. لأنه إن كان تقدمه هو بميلاده، فإن عودته تعنى توقف هذا المـيلاد، لأنـه حينما يعود ليكون فى الله ثانية فإن الله يصبح صامتاً مرة أخرى. لكن إن كان (الله) سيصير صامتاً، كما كان ويعود إلى السكون وليس الخلق، لأن الخليقة ستتوقف عن الوجود. لأنه كما أنه فى خروج الكلمة قد خلقت وأصبحت موجودة، هكذا فى كـف الكلمة عن الفعل فلن تكون الخليقة موجودة، وإن كانت الخليقة سوف تتوقـف، فمـا النفع إذن من وجودها؟ أو لماذا تكلم الله، إن كان سيصمت من جديد؟، ولماذا يُخرج (من ذاته) واحداً ثم يسحبه؟ ولماذا يلد واحداً، وهو يريد أن يتوقف ميلاده؟ وسـوف يصبح من غير المؤكد ماذا سيكون (هذا الواحد). لأنه إما أن يظل (الله) صامتاً إلى الأبد، أو أنه سوف يلد مرة أخرى، ويصنع خليقة مختلفة، (لأنه لن يخلق نفـس مـا خلقه، وإلا كان قد أبقى عليه)، بل سوف يخلق خليقة أخرى، وسوف يُوقـف هـذه الخليقة أيضاً فى وقت ما، وسوف يصنع خليقة أخرى، وهكذا بلا نهاية.

١٣- ربما استعار مارسيللوس هذا من الرواقيين، الذين يزعمـون أن الله يـتقلص ويتمدد Dilatation مع الخليقة، ثم يستريح بدون نهاية. لأن ما تمدد قد أصبح متسعاً

---

(١٧) المرجع السابق: ضد الأريوسيين ١:٢١.

(١٨) المرجع السابق: ضد الأريوسيين ٢:١٩.

(١٩) أنظر الفصل التاسع من هذا المقال.

بعدما كان ضيقاً، وما تمدد قد تمدد بعدما كان متقلصاً، أى أنه تعرض للتغيير. فإن كان "الواحد" قد تمدد وصار ثالوثاً، وكان "الواحد" هو الآب، والثالوث هو الآب والابن والروح القدس، فإن "الواحد" يكون قد تمدد، إذ اعتراه تغيير وأصبح ما لم يكنه، فقد تمدد بينما لم يكن متمدداً قبلاً.

ثم إن كان هذا "الواحد" ذاته قد تمدد إلى ثالوث، وهذا الثالوث هو الآب والابن والروح القدس، إذن صار الآب نفسه أبناً وروحاً قدساً أيضاً، كما زعم سابيليوس إلا إذا كان هذا "الواحد" الذى يتكلم عنه هو شخص آخر غير الآب، فما كان ينبغى عليه أن يتكلم عن التمدد، طالما أن "الواحد" يصير منه ثلاثة، وهكذا كان هناك "واحد" فى الأول ثم أصبح آباً وابناً وروحاً. لأنه إن كان "الواحد" قد تمدد ووسع نفسه، لوجب أن يكون هو نفسه الذى اتسع. فالثالوث حينما يتمدد لا يصير بعد واحداً، وحينما يكون واحداً فلا يكون ثالوثاً بعد. ولهذا فإن الذى كان أباً لم يكن بعد ابناً وروحاً، هكذا، لابد أن ينسب لله جسداً، ويجعله قابلاً للضعف. لأنه ما هو التمدد سوى تغيير يعترى ذلك الذى تمدد؟ أو ماذا يكون الذى تمدد إلا ذاك الذى لم يكن هكذا قبلاً، بل كان فى الواقع ضيقاً؟ لأنه هو نفس الشئ، لكنه يختلف عن ذاته من جهة الزمن فقط.

١٤- وهذا ما يعرفه الرسول الإلهى حين يكتب إلى أهل كورنثوس قائلاً: "فمنا مفتوح إليكم أيها الكورنثيون قلبنا متسع، لستم متضيقين فينا.. كونوا أنتم أيضاً مُتسعين" (٢كو٦: ١١-١٣). لأنه ينصح هؤلاء بأن يتغيروا من الضيق إلى الاتساع. وكما أن الكورنثيون أنفسهم هكذا إن كان الآب قد أتسع إلى ثالوث (حسب زعمهم) فإن الثالوث لا يزال هو الآب وحده. ويقول الرسول نفس الشئ: "قلبنا متسع" (٢كو٦: ١١)، ويقول نوح: "ويوسع الله يافث" (تك٩: ٢٧س)، ولكن رغم هذا الاتساع بقى نفس القلب، وبقى يافث كما هو.

فإن كان "الواحد" قد اتسع إذن فإنه يكون قد اتسع لأجل آخرين، لكن إن كان قد اتسع لأجل ذاته، يكون هو نفس الذى اتسع. ومن يكون هذا (الذى اتسع لأجله) سوى الابن والروح القدس؟ وحسناً أن نسأله حين يتكلم هكذا، وما هو عمل هذا الاتساع؟

وفى الواقع، لماذا قد تم هذا الاتساع أصلاً؟ لأن الذى لا يبقى كما هو، بـل يتـسع بمرور الزمن، فلابد أن يكون هناك بالضرورة سبب لاتساعه. فإن كان هذا الاتساع من أجل أن يكون الابن والروح معه، فإنه لا داعى للقول بوجود "الواحد" الذى يتسع بعد ذلك. لأن "الكلمة" والروح القدس لم يُوجدا بعد (الآب)، بل منذ الأزل، وإلا كان الله بلا "كلمة"[٢٠]، كما يزعم الأريوسيون. لهذا فإن كان الكلمـة والـروح القـدس موجودين منذ الأزل، فإن الله كان متسعاً منذ الأزل، ولم يكن "واحداً" أولاً. لكـن إن كان قد اتسع بعد ذلك، إذن وُجد "الكلمة" فيما بعد. وإن كان قـد اتـسع مـن أجـل التجسد، وصار ثالوثاً بعد. وسوف يبدو أن الآب قد صار جسداً، فإن كـان الأمـر كذلك، وكان هو ذاك "الواحد"، وقد اتسع فى الإنسان، فربما كان هناك "واحداً" فقـط ثم جسد، ثم ثالثاً روح. وإن كان الأمر كذلك فقد اتسع هو نفسه، وسوف يكون هناك ثالوث بالاسم فقط. ومن غير المعقول أيضاً القول إنه قد اتسع لأجل الخلق، لأنه كان يمكنه أن يخلق الكل، وهو باق "واحداً" لأن "الواحد" لم يكن محتاجاً إلى الاتساع، كما أنه لم يكن ناقصاً فى القوة قبل أن يتسع. لأنه من السخف وعدم التقوى أن نفكـر أو نتحدث هكذا عن الله. كما سينجم سخف أخر أيضاً لأنه إن كان قد اتسع لأجل الخلق فعندما كان "واحداً" لم يكن هناك خلق، لكنه عند انقضاء الدهور سوف يرجع "واحداً" مره أخرى بعد الاتساع، وسوف تصير الخليقة أيضاً إلى العدم. لأنـه كمـا اتـسع لغرض الخلق، هكذا عندما يتوقف الاتساع، تتوقف الخليقة أيضاً.

١٥- مثل تلك الأمور غير المعقولة تترتب على القول بأن "الواحد" قد اتـسع إلـى ثالوث. ولما كان أولئك الذين يزعمون ذلك يتجاسرون أن يفـصلوا "الكلمـة" عـن الابن، وأن يقولوا إن "الكلمة" شخص والابن شخص آخر، وأن "الكلمة" كان أولاً ثم الابن. فلنفحص هذا التعليم أيضاً، إذ أن افتراضهم يأخذ عدة أشكال، فالبعض يقولون إن الإنسان الذى أخذه المخلص هو الابن، وآخرون يزعمون أن الانسان "والكلمة" قد صارا الابن فيما بعد حينما اتحدا. وآخرون يقولون إن "الكلمة" ذاته قد صـار ابنـاً

[٢٠] المرجع السابق: ضد الأريوسيين ١٩:١.

حينما تأنس، هكذا يقولون إنه قد صار ابناً بعد أن كان "الكلمة"، ولم يكن ابنـــاً مـــن قبل، بل كان "الكلمة" فقط.

وهذه كلها تعاليم الرواقيين، سواء القائلة بأن الله قد اتسع أو التى تنكر الأبن. لكـــن من غير المعقول على الإطلاق أنهم بينما يسمون "الكلمة"، ينكرون أنه الابن! لأنه لو لم يكن "الكلمة" من الله، لكان من المعقول أن ينكروا أنه ابن. لكنه إن كان مـــن الله، فكيف لا يدركون أن من يُولد من شخص هو ابن لهذا الذى جاء منه؟ ثم إن كان الله أباً "للكلمة"، فلماذا لا يكون "الكلمة" ابن لأبيه الذاتى؟ لأن واحداً كائن ويدعى أباً، له ابنه، وواحداً كائن ويُدعى ابن لآخر، الذى هو أبوه. فإن لم يكن الله هو أب المسيح، فلا يكون "الكلمة" ابناً، ولكن إن كان الله هو آب، فمن المعقـــول أيـــضاً أن يكـــون "الكلمة" هو ابن. لكن إن كان الله موجوداً أولاً ثم صار أباً فيما بعد، فهذا هـــو فكـــر الأريوسيين. ثم أنه من السخف القول بأن الله يتغير، لأن تلك هى سمة الأجسام. لكن إن كانوا يجادلون أن الله صار خالقاً فيما بعد لكى يخلق العالم، فليعلموا أن التغييـــر هو خاصية المخلوقات[21] التى أتت إلى الوجود فيما بعد، وليس خاصية فى الله.

١٦- فإن كان الابن أيضاً مخلوقاً فيكون الله قد بدا يصير أباً للابن كما هو بالنـــسبة للمخلوقات، لكن إن لم يكن الابن مخلوقاً، فإن الأب يكون أباً منذ الأزل، والابن ابناً منذ الأزل[22]. وإن كان الابن كائناً منذ الأزل، فيجب أن يكون هو "الكلمة". لأنه إن لم يكن "الكلمة" هو الابن منذ الأزل، وهو ما يتجاسر البعض على قوله، فإنهم بـــذلك يعتقدون إما أن "الكلمة" هو الآب، أو أن الابن أعظم من "الكلمة". وإذ الابن هو "فى حضن الآب" (يو ١:١٨)، فبالضرورة إما أن يكون "الكلمة" بعد الابن (إذ لا يوجد من هو قبل ذاك الكائن فى الآب)، أو إن كان "الكلمة" غير الابن، "فالكلمة" لابد أن يكون هو الآب الذى فيه الابن كائن. لكن إن لم يكن "الكلمة" هو الآب بل هـــو "الكلمـــة"، فلابد أن يكون "الكلمة"، خارج الآب، طالما أن الابن هو الذى "فـــى حـــضن الآب". لأنه لا يمكن أن يكون كل من "الكلمة" والابن فى حضن الآب، إذ يجـــب أن يكـــون

(٢١) المرجع السابق: أنظر ضد الأريوسيين ١:٢٩.

(٢٢) المرجع السابق: ضد الأريوسيين ١:١٤.

واحد فقط فيه، وهو الابن الذى هو "الابن الوحيد". وإن كان "الكلمة" شخصاً والابن شخصاً آخر، فإن الابن يكون أعظم من "الكلمة"، لانه "لا أحد يعرف الآب إلا الابن". ونفس الأمر ينطبق على قول المسيح: "الذى رآنى فقد رأى الآب" (يو ١٤:٩)، و "انا والآب واحد" (يو ١٠:٣٠). لأن هذه أقوال الابن، وليست أقوال "الكلمة" كما يزعمون، وكما هو واضح فى الأناجيل. لأنه بحسب إنجيل يوحنا، حين قال الرب: "أنا والآب واحد" أخذ اليهود حجارة ليرجموه، فأجابهم يسوع قائلاً: "أعمال كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى، بسبب أى عمل منها ترجمونى؟ فأجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً. أجابهم يسوع: أليس مكتوباً فى ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة. إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن يُنقض المكتوب، فالذى قدسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له: إنك تجدف، لأنى قلت إنى ابن الله؟ وإن كنت لست أعمل أعمال أبى، فلا تؤمنوا بى. ولكنى إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى، فآمنوا بالأعمال، لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىّ وأنا فيه" (يو ١٠:٣٢-٣٨). وكما يظهر من هذه الكلمات فهو لم يقل أنا الله، ولا قال أنا ابن الله بل قال: "أنا والآب واحد".

١٧- فحينما سمع اليهود (لفظة) "واحد" ظنوا مثل سابليوس، أنه قال إنه هو الآب. لكن مُخلصنا يبين خطأهم بقوله: رغم إنى قد قلت "إله"، كان عليكم أن تتذكروا المكتوب، "أنا قلت إنكم آلهة" (يو ١٠:٣٤)، ولكى يوضح عبارة "أنا والآب واحد"، شرح وحدانية الابن مع الآب قائلاً: لأننى قلت إنى ابن الله، لأنه حتى لو لم يكن قد قالها بالألفاظ، لكنه أوضح معنى "الابن" بقوله "نحن واحد". لأنه لا يوجد من هو واحد مع الآب، سوى الذى هو منه. ومن هو هذا الذى هو من الآب إلا الابن؟ لهذا فهو يضيف قائلاً: "لتعرفوا إننى فى الآب والآب فىّ". لأنه حينما شرح لفظة "واحد" قال إن الاتحاد (بين الآب والابن) وعدم انفصالهما إنما يكمن ليس فى كون "هذا" هو "ذاك" الذى هو واحد معه بل فى كون الابن فى الآب والآب فى الابن. لأنه هكذا يدحض تعليم سابليوس، فهو لم يقل "أنا الآب"، بل قال أنا "ابن الله". ويدحض تعليم

آريوس أيضاً بقوله "أنا والآب نحن واحد". فإن كان الابن ليس هو نفسه الكلمة، فإن الابن وليس "الكلمة" يكون واحداً مع الآب، ولا يكون "الكلمة" هو الذى رأى الآب بل الابن هو الذى قد رأى الآب. ويترتب على هذا: إما أن الابن أعظم من "الكلمة"، أو أن "الكلمة" ليس له ما هو أكثر مما للابن. لأنه لن يكون من هو أعظم وأكمل من "الذى هو واحد مع الآب" والذى يقول: "أنا فى الآب والآب فىّ، و"الذى رآنى فقد رأى الآب" لأن تلك العبارات قالها الابن عن نفسه إذ يقول فى إنجيل يوحنا: "من رآنى فقد رأى الذى أرسلنى"، و "أنا قد جئت نوراً إلى العالم، حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة... وإن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فإنا لا أدينه، لأنى لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم. من رذلنى ولم يقبل كلامى فله من يدينه. الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الآخير" (يو١٢:٤٥، مت٤٠:١٠، يو١٢:٤٦-٤٨). ويقول الابن إن كلامه هو الذى يدين من لم يحفظ الوصية، إذ يقول "لو لم أكن قد جئت وكلمتهم، لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم" (يو١٥:٢٢). وهو يقصد: أن من يسمعون كلامىويحفظونه يحصدون خلاصاً.

١٨- ربما يقولون بلا خجل، إن هذا الكلام لا يخص الابن بل "الكلمة". لكن يتضح مما سبق أن المتكلم هو الابن. لأن الذى يقول هذا "ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم" (يو١٢:٤٧)، يثبت أنه ليس آخر سوى ابن الله الوحيد الجنس. لأن يوحنا نفسه يقول قبل ذلك: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم، ليدين العالم، بل ليخلص به العالم. الذى يؤمن به لا يُدان، والذى لا يؤمن به قد دين، لأنه لم يؤمن بأسم ابن الله الوحيد. وهذه هى الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو٣:١٦-١٩). فإن كان الذى يقول: "ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم" هو نفس الذى يقول "من رآنى فقد رآى الذى أرسلنى" (يو١٢:٤٥). وإن كان الذى جاء ليخلص العالم، لا ليدينه، هو ابن الله الوحيد الجنس، فمن الواضح أنه هو نفسه الابن الذى يقول: "من رآنى فقد رآى الذى أرسلنى"، لأن الذى يقول: "من يؤمن بى..." و "إن سمع أحد

كلامى..." هو الابن نفسه، الذى يقل الكتاب عنه "من يؤمن به لا يُدان والذى لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد". وأيضاً هذه هى الدينونة (دينونة الذى لا يؤمن بالابن) لأن النور جاء إلى العالم ولم يؤمنوا به، أى بالابن "لأن هذا هو النور الذى يضئ لكل إنسان آت إلى العالم" (يو ١:٩). ولقد كان هو نور العالم طوال زمن تجسده على الأرض، كما قال هو نفسه: "ما دام لكن النور، آمنوا بالنور، لتصيروا أبناء النور...." لأنه يقول "أنا قد جئت نوراً إلى العالم" (يو ١٢:٣٦،٤٦).

١٩- وإذ قد أوضحنا هذا يتضح بذلك أن "الكلمة" هو الابن. فإن كان الابن هو النور، الذى جاء إلى العالم فهو أمر لا يقبل الجدل أن الابن هو الذى خلق العالم. لأنه فى بداية الإنجيل، إذ يتحدث الإنجيلى عن يوحنا المعمدان، يقول: "لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور" (يو ١:٨). لأن المسيح كما قلنا قبلاً هو: "النور الحقيقى الذى ينير لكل إنسان آت إلى العالم" (يو ١:٩). لأنه إن "كان فىالعالم وكُون العالم به" فبالضرورة يكون هو "كلمة" الله، الذى قال عنه الإنجيلى أيضاً إن "كل شئ به كان". لأنه إما سيضطرون للحديث عن عالمين: واحد منهما قد خلق بواسطة الابن، والآخر بواسطة "الكلمة"، وأما أن كان هناك عالم واحد وخليقة واحدة، فإن الابن و"الكلمة" يكونان واحداً ونفس الشخص قبل كل خليقة، لأن الخليقة قد أتت إلى الوجود بواسطته. لهذا فإن كانت كل الخلائق قد خُلقت بواسطة "الكلمة"، الذى هو الابن أيضاً، ولن يكون هناك تناقض أن نقول: "فى البدء كان الكلمة" أو "فى البدء كان الابن"، بل يكون القولان متماثلان. لكن يوحنا لم يقل فى البدء كان الابن، فإنهم يزعمون أن خصائص الكلمة لا تُناسب الابن فيتبع ذلك إذن أن خصائص الابن لا تُناسب "الكلمة" أيضاً.

لكن لأنه قد ثبت أن ما يرددكره يخص الابن: "أنا والآب واحد"، و "الذى هو فى حضن الآب" (يو ١:١٨، ١٠:٣٠). و "من يراى يرى الذى أرسلنى" (يو ١٢:٤٥). وأن القول: "أن العالم خلق بواسطته يشير إلى الابن و "الكلمة" معاً، وأتضح أن الابن موجود قبل كون العالم، لأنه يلزم بالضرورة أن يكون الخالق موجوداً قبل المخلوقات وهم يزعمون أن ما قيل لفيلبس يجب أن يُنسب للابن وليس "للكلمة"، لأن

يسوع قال لفيلبس: "أنا معكم زماناً هذا مدته، ولم تعرفنى يا فيلبس! الذى رآنى فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ آلست تؤمن إنى أنا فى الآب والآب فىّ هو يعمل الأعمال. صدقونى إنى فى الآب والآب فىّ، وإلا فصدقونى لسبب الأعمال نفسها. الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً، ويعمل أعظم منها، لأنى ماضٍ إلى أبى. ومهما سألتم بأسمى فذلك أفعله، ليتمجد الآب بالابن" (يو١٤:٩-١٣). لهذا فإن كان الآب يتمجد بالابن فإن الابن هو القائل: "أنا فى الآب والآب فىّ"، والذى قال أيضاً: "من رآنى الآب"، لأن نفس الذى تكلم هو الذى يُظهر نفسه أنه هو الابن بقوله "ليتمجد الآب بالابن".

٢٠- فإن كانوا إذن يزعمون أن الانسان الذى لبسه "الكلمة" وليس "الكلمة" هو نفسه ابن الله الوحيد، لترتب على ذلك أن يكون هذا الإنسان هو الذى فى الآب، والذى فيه الآب أيضاً. ولكان يجب أن يكون هذا الإنسان ولأضطروا أن يقولوا إن العالم قد خُلق بواسطة هذا الإنسان نفسه، وإن هذا الإنسان هو الذى جاء لا ليدين العالم بل ليخلصه، وإنه هو الذى كان كائناً قبل أن يكون ابراهيم لأن الكتاب يقول إن يسوع قال لهم: "الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن" (يو٨:٥٨).

وهم يقولون أمن المعقول أن الذى جاء من نسل إبراهيم بعد اثنين وأربعين جيلاً (قابل مت١:١٧) يكون موجوداً قبل أن يكون إبراهيم؟ فنقول لهم أمن المعقول أيضاً أن يكون الجسد الذى لبسه "الكلمة"، هو نفسه الابن، وأن يقال إن الجسد الذى من مريم هو الذى بواسطته قد خُلق العالم؟ وكيف لهم أن يبقوا على عبارة أنه "كان فى العالم" (يو١:١٠)؟ لأن الإنجيلى إذ يبرهن على أسبقية وجود الابن على ميلاده بحسب الجسد، يستمر قائلاً إنه: "كان فى العالم". فإن لم يكن "الكلمة" هو الابن بل الإنسان، فكيف يمكنه أن يخلص العالم، وهو نفسه واحد من العالم؟ وإن كان ذلك لا يخزيهم، فأين سيكون "الكلمة"، إن كان ذلك الإنسان موجود فى الآب؟ وما هى علاقة "الكلمة" بالآب، إن كان ذلك الإنسان هو والآب واحد؟ وما هى علاقة "الكلمة" بالآب، إن كان ذلك الإنسان موجود فى الآب؟ وما هى علاقة "الكلمة" بالآب، إن كان ذلك الإنسان هو والآب واحد؟ وما هى علاقة "الكلمة" بالآب، إن كان ذلك

الإنسان هو الابن الوحيد، فما هو مكان "الكلمة"؟ إما أن يقول المرء إن "الكلمة" يأتى فى المرتبة الثانية، أو إن كان "الكلمة" أعلى من الابن الوحيد، فيجب أن يكون "الكلمة" هو الآب ذاته. لأنه كما أن الآب واحد، كذلك أيضاً الابن الوحيد الذى منه هو واحد، وماذا بقى "للكلمة"من رفعة فوق الإنسان، إن لم يكن "الكلمة" هو الابن؟ لأنه مكتوب أن العالم خُلق بواسطة الابن و "الكلمة"، وأن خلقة العالم هى عمل مشترك "للكلمة" والابن، ولكن الكتاب بعد ذلك يشير إلى أن الآب يرى فى الابن وليس فى "الكلمة"، كما ينسب خلاص العالم للابن الوحيد الجنس، وليس "للكلمة"، لأن الكتاب يذكر أن يسوع قال: "أنا معكم زماناً هذا مدته ولم تعرفنى يا فيلبس؟ من رآنى فقد رأى الآب" (يو١٤:٩). ولم يُكتب أن "الكلمة" يعرف الآب، بل الابن، كما لم يُكتب أن "الكلمة" يرى الآب بل الابن الوحيد الجنس الذى هو فى حضن الأب.

٢١- وبماذا يُساهم "الكلمة" فى خلاصنا أكثر من الابن، إن كان الابن شخص و "الكلمة" شخص آخر، كما يزعمون؟ لأن الوصية هى أننا يجب أن نؤمن بالأبن، وليس "بالكلمة". لأن يوحنا يقول: "الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة" (يو٣:٣٦). والمعمودية المقدسة التى تحوى أساس الإيمان كله لا تتم "بالكلمة"، بل بالأب والابن والروح القدس.

فإن كان "الكلمة" شخصاً، والابن شخصاً آخر كما يزعمون، وليس "الكلمة" ه الابن. فليس للمعمودية أية علاقة "بالكلمة". فكيف يكون "الكلمة" موجوداً مع الآب، إن لم يكن معه فى منح المعمودية؟ لكنهم ربما يقولون إن "الكلمة" مُتضمن فى اسم الآب وفى هذه الحالة، لماذا لا يكون الروح مُتضمناً فيه أيضاً؟ أم أن الروح خارج عن الآب؟ ويكون "الإنسان" مدعواً بعد الآب - (إن لم يكن "الكلمة" هو الابن) - أما الروح فُيدعى بعد "الإنسان". وبدلاً من أن يتمدد "الواحد" إلى الثالوث حسب زعمهم، فإنه يتمدد إلى رابوع (Tetrad): آب و "كلمة" وابن وروح قدس! وإذ يعتريهم الخزى بسبب قولهم هذا، فإنهم يلجأون إلى مخرج آخر، ويزعمون أنه ليس بذاته هو الذى أخذه (لبسه) الرب، بل "الكلمة" والإنسان معاً، هما الابن، لانهما بارتباطهما معاً يُدعيان الابن، حسب قولهم. وفى هذه الحالة من منهما يكون علة الآخر؟ ومن منهما

قد خلق الآخر؟ أو دعنا نتحدث بوضوح أكثر، هل "الكلمة" دُعى أبناً بسبب الجسد؟ أم أن الجسد هو الذى دُعى ابناً بسبب "الكلمة"؟ ام ليس بسبب أى منهما، بل بسبب إنجماع الاثنين معاً؟ فإن كان "الكلمة" ابناً بسبب الجسد، فبالضرورة يكون الجسد ابناً، ويترتب على ذلك أمور غير معقولة والتى تنجم من قولهم إن الإنسان هو ابن. لكن إن كان الجسد قد دُعى ابناً بسبب "الكلمة"، لكان "الكلمة" ابناً بالتأكيد حتى قبل الجسد. إذ كيف لكائن أن يجعل الآخرين أبناء مع كونه هو نفسه ليس ابناً، خاصة حين يكون هناك أب[٢٣]؟فإن كان يلد أبناءَ لنفسه، إذن سيكون هو نفسه أباً. لكن إن كان يلد للأب، لوجب أن يكون ابناً، أو بالحرى سيكون هو ذلك الابن، الذى بسببه جُعل الباقون أبناءَ أيضاَ.

٢٢- لأنه إن لم يكن هو ابناً، بينما نحن أبناء، فإن الله يكون أبانا نحن وليس أباه هو. فكيف إذن ينتحل البنوة له قائلاً: "أبى" و "أنا من الآب"؟ (يو١٧:٥، يو٢٨:١٦)، لأنه إن كان أباً عاماً للكل، فلا يكون أباه هو فقط، ولا يكون هو وحده قد وُلد من الآب. لكن الكتاب يقول إن الآب يُدعى فى بعض الأحيان أب لنا نحن أيضاً، بسبب أن (الابن) نفسه صار شريكاً فى جسدنا. لأنه لهذا السبب صار "الكلمة" جسداً، إذ حيث إن "الكلمة" هو الابن، فإن الأب يُدعى أباناً أيضاً، بسبب الابن الساكن فينا[٢٤]، لأن الكتاب يقول: "أرسل الله روح ابن إلى قلوبكم، صارخاً يا أبا الآب" (غل٤:٦). لهذا فالابن الذى فينا، إذ يدعو أباه الذاتى فإنه يجعل أباه يُدعى أبانا نحن أيضاً. وبالتأكيد فإن الله لا يمكن أن يُدعى أباً لأولئك الذين ليس لهم الابن فى قلوبهم. لكن إن كان الإنسان يُدعى ابناً بسبب "الكلمة"، فإنه يلزم (أن يكون "الكلمة" ابناً) حتى قبل حلوله فى وسطنا حيث إن القدماء[٢٥] دُعوا أبناء حتى قبل التجسد، إذ يقول الكتاب: "لأنى ولدت بنيناً" (إش ٢:١)، وفى أيام نوح يقول: "حين رأى أبناء الله" (تك ٢:٦س). وفى نشيد موسى النبى: "أليس هو أباك" (تث ٦:٣٢)؟ لهذا كان أيضاً هناك ذلك الابن الحقيقى، الذى لأجله صار أولئك أيضاً بنيناً... لكن إن لم يكن أى

(٢٣) المرجع السابق : أنظر ضد الآريوسيي، ١١:٣.

(٢٤) المرجع السابق: ضد الآريوسيين ٦٠:٢.

(٢٥) أنظر الفصل التاسع والعشرين من هذا المقال.

من الاثنين ابناً، كما يزعمون أيضاً، بل إن (الأمر) يعتمد على إنجماع الاثنين معـــاً وبذلك لا يكون أياص منهما ابناً، أقول، لا "الكلمة" ولا الإنسان – بـــل علـــى مـــا – تكون هى سبب اتحادهما. ومن ثم فإن تلك العلة التى تصنع الابن سوف تكون سابقة على الاتحاد. وبهذه الطريقة يكون الابن موجوداً قبل التجسد. وعنـــدما تُثـــار هـــذه المسألة، فإنهم يلجأون إلى حجة أخرى، قائلين إن الإنسان ليس ابناً، ولا همـــا معـــاً ابن، لكن "الكلمة" هو الذى كان "كلمة" فى البدء فقط، لكنه عندما صار إنساناً، فحنيئذ دُعى ابناً،[٢٦] لأنه لم يكن ابناً قبل التجسد بل "كلمة" فقط، وكما صار "الكلمة" جسداً، إذ لم يكن جسداً من قبل، هكذا صار "الكلمة" ابناً، إذ لم يكن ابداً من قبل، تلك هـــى كلماتهم البطالة، وهكذا يبدو خزيهم واضحاً.

٢٣- إن كان (الابن) قد صار ابناً حينما صار إنساناً، فتكون صيرورته إنساناً هـــى علة بنوته. وإن كان الإنسان هو علة صيرورته ابناً، أو كان السببان معاً، لترتبـــت نفس النتائج غير المعقولة. ثم إنه لو كان أولاً "كلمة" وبعد ذلك صار ابنـــاً، فـــسوف ينتج أنه قد عرف الآب فيما بعد، وليس قبلاً، فى حين أنه لا يعرفه بكونه "كلمة"، بل بكونه ابناً. لأنه "لا أحد يعرف الآب إلا الابن" (مت١١:٢٧). وسوف يترتب عليـــه، أنه صار فيما بعد أيضاً "فى حضن الآب" وفيما بعد أنه صار هـــو "والآب واحـــد" وفيما بعد أيضاً: "من رآنى فقد رأى الآب" (يو١٤:٩)، لأن كل تلك الأشـــياء قيلـــت عن الابن. ومن ثم سيضطرون إلى القول، إن "الكلمة" لم يكن إلا مجرد اسم فقـــط، لأنه لم يكن هو الأقنوم) الكائن هو والآب فينا، ولا يكون من رأى "الكلمة" قـــد رأى الآب، كما أن الآب لم يكن معروفاً لأى أحـــد علـــى الإطـــلاق، لأن الآب يُعـــرف بواسطة الابن، لأنه مكتوب "ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت١١:٢٧)، لأنه إن لـــم يكن "الكلمة" ابناً بعد، ولم يكن أحد قد عرف الآب بعد، فكيف إذن أستعلن لموســـى، وللأباء؟ إذ يقول هو نفسه فى سفر الملوك: "لقد تجليـــت بوضـــوح لبيـــت أبيـــك" (١صم٢:٢٧س). لكن إن كان الله قد أستعلن فإن الابن لابد أن يكون موجوداً لكـــى يعلنه، كما يقول هو نفسه: "ومن أراد الابن أن يعلن له".

[٢٦] المرجع السابق: ضد الآريوسيين ٢:١٩.

أنه من غير التقوى إذن ومن الحماقة القول إن "الكلمة" كان شخصاً والابـــن آخـــر. ويحق لنا أن نسألهم من أين أتوا بهذه الفكرة؟ هم يجيبون زاعمين أن العهد القديم لا يذكر أى شئ عن الابن، بل يذكر، لذا فهم يؤكدون أن الابـــن جـــاء متـــأخراً عـــن "الكلمة"، لأن الابن لم يذكر "الكلمة" فى العهد القديم، بل فى العهد الجديد فقط. هذا ما يزعمونه فى عدم تقوى، فأولاً: إذ هم يفصلون بين العهدين، حتى أن الواحد منهمـــا لا يوافق لآخر، فهذه هى حيلة المانويين واليهود! الذين يقاوم أحدهما العهـــد القـــديم ولآخر العهد الجديد[٢٧] وثانياً: إن كان ما هو وارد فى العهد القديم ذا تاريخ أقـــدم، وما هو فى الجديد ذا تاريخ أحدث، وتعتمد الأوقات علـــى أســـاس الكتابـــة، فـــإن الشواهد: "انا والآب واحد" (يو١٠:٣٠)، و"الوحيد" (يو١:١٨)، و "الذى رآنـــى فقـــد رأى الآب" (يو١٤:٩) تكون أحدث بسبب أن تلك الشواهد مأخوذة من العهد الجديـــد وليس من القديم.

٢٤- لكن الأمر ليس كذلك، لأنه فى الحقيقة قد قبل الكثير أيضاً عن الابن فى العهد القديم، مثلما جاء فى المزمور الثانى: "أنت ابنى وأنا اليوم ولدتُك" (مز٢:٧). وفـــى المزمور التاسع، الذى عنوانه "على نهاية مزمور لداود بخصوص الأسرار الخاصة بالابن" (مز٩:١) وفى المزمور الرابع والأربعين "على النهاية بخـــصوص الأمـــور التى ستتغير عن بنى قورح للفهم، ترنيمة عن المحبوب" (مز٤٤:١)، وفى إشـــعياء: "لأنشدن عن حبيبى نشيد محبى لكرمه، كان لحبيبى كرم" (إش٥:١). فمن هو هـــذا المحبوب سوى الابن الوحيد الجنس؟ مثلما نجد أيضاً فى المزمور التاسع بعد المائة "من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك" (مز١٠٩:٣س)، والذى سنتناول الحديث عنـــه فيما بعد، وفى الأمثال: "قبل الجبال ولدنى" (أم٨:٢٥س)، وفـــى دانيـــال: "ومنظـــر الرابع شبيه بابن الله" (دا٣:٢٥). وغيرها كثير.

فإن كان القدم هو بسبب أنه ذُكر فى القديم، لكان الابن عتيق الأيام، أيضاً، والـــذى يظهر بوضوح فى مواضع عديدة فى العهد القديم. وهم يقولون: نعم هـــذا صـــحيح، لكننا يجب أن نأخذ الكلام نبوياً. ولهذا أيضاً يأتى الحديث عن "الكلمة" بشكل نبـــوى،

[٢٧] المرجع السابق: أنظر ضد الآريوسيين ١:٥٣، ٣:٣٥.

أى لا يجب أن يؤخذ من جانب واحد، بل من الجانب الآخر أيضاً، لأنــه إن كانــت الآية: "أنت ابنى" تشير إلى المستقبل، فإنه هكذا يكون الأمر بالنسبة لآيــة: "بكلمــة الرب تأسست السموات" (مز٦:٣٢) لأنه لم يقل: "صارت" ولا "خلقــت" لأن لفظــة "تأسست" إنما تشير إلى المستقبل، وهو ما نجده مكتوباً فى مواضــع أخــرى مثــل "الرب قد ملك" تتبعه على الفور "لأنه ثبتت المــسكونة التــى ســوف لا تتزعــزع" (مز١:٩٢س). وإن كانت الكلمات فى المزمور الرابع والأربعين "لأجل حبيبى" تشير إلى المستقبل فهكذا تشير الكلمــات التــى تليهــا "فــاض قلبــى بكلمــة صــالحة" (مز٢،١:٤٤س). وإن كانت عبارة "من البطن" (مز٣:١٠٩) تتعلق بالإنسان هكــذا أيضاً عبارة "من القلب". لأنه إن كانت البطن بشرية فكذلك يكون القلب جسدياً أيضاً. لكن إن كان الذى من القلب أبدياً فإن الذى "من البطن" هو أبدى أيــضاً، وإن كــان "الابن الوحيد الجنس" هو فى "الحضن"، فإن "المحبوب" يكون "فــى الحــضن" لأن "الأبن الوحيد" هو نفسه "المحبوب"، كما فى العبــارة "هــذا هــو ابنــى الحبيــب" (مت١٧:٣) لأنه لم يقل "الحبيب" ليعبر عن أنه يريده، أى عن محبته نحــوه، لــئلا يظهر أنه يكره الآخرين، بل قد أوضح بذلك أنه الوحيد الجنس، ليظهر أن هذا هــو الوحيد الذى هو منه. ولهذا فإن "الكلمة"، إذ أراد أن يوضح لإبراهيم فكــرة "الابــن الوحيد" يقول له: "قدم ابنك حبيبك" (تك٢:٢٢س)، لكنه واضح للجميع أن اسحق كان الابن الوحيد من سارة. إذن "الكلمة" هو الابن، ولم يصر هكذا لاحقاً، أو دُعى ابنــاً، بل هو ابن على الدوام. لأنه لو لم يكن ابناً، ما كان "كلمة"، ولو لم يكن "كلمة"، مــا كان ابناً. لأن الذى من الآب هو ابن. وماذا يكون الذى من الآب، إن لم يكن "الكلمة" الذى خرج من القلب وولد من البطن؟ لأن الآب ليس "كلمة" ولا "الكلمة" أبــاً، لكــن الواحد أب، والآخر ابن، واحد يلد والآخر مولود.

٢٥- فأريوس إذن، يهذى بقوله إن الابن مخلوق من العدم، وإنه مر وقت لم يكــن فيه موجوداً. أما سابليوس فيهذى بقوله إن الآب هو ابن والابن هو آب، أى أقنــوم واحد له اسمان. ويهذى أيضاً مارسيللوس إذ يستخدم نعمة الروح القدس كمثال، قائلاً كان أن هناك "أنواع مواهب موجودة، لكن الروح واحد" (١كو٤:١٢)، هكذا أيــضا

الآب، فإنه هو نفسه الأب ولكنه يتمدد إلى الابن والروح. لكن هذا الأمـر مملـوء سخافة. لأنه إن كان الأمر بالنسبة لله مثلما هو بالنسبة للروح. فـسيكون الآب هـو "الكلمة" والروح القدس، إذ يصير أباً بالنسبة لشخص ما، ولآخر يصير ابناً، ولآخـر يصير روحاً، مكيفاً نفسه مع حاجة كل واحد. فيكون بالاسم ابناً وروحاً، ولكنه فـي الواقع هو آب فقط، وبصيرورته ابناً تكون له بداية، وعندئذ يكف عن أن يُدعى آبـاً أو يُقال أنه صار إنساناً بالاسم، لكنه فى الحقيقة لم يأت حتى فى وسطنا، ولم يكـن صادقاً فى قوله: "أنا والآب واحد" إذ فى الحقيقة هو نفسه الآب. بالإضافة للأمـور الآخرى غير المعقولة التى تنتج فى حالة سابيليوس. ويتوقف بالضرورة إلـى مـا يشبه عبث الأطفال، لأنه قد أُظهر بالاسم وليس بالحق. وإذ يتوقف اسم الابـن كمـا يزعمون تتوقف نعمة المعمودية أيضاً، لأنها منحت بالابن[٢٨]. وماذا سـيتبع ذلـك سوى فناء الخليقة؟ لأنه إن كان "الكلمة" قد وُجد لكى نُخلق نحن، ولما وُجد صـرنا نحن، فالواقع أنه حينما يعود إلى الآب، كما يزعمون فنحن لن نكون، لأن "الكلمـة" يرجع مثلما كان، هكذا نحن أيضاً لن نوجد بعد وسنعود كما كنا. لأنه حينما لا يعود "الكلمة" موجوداً، فلن تكون هناك خليقة بعد.

٢٦- هذه كلها إذن، أمور غير معقولة. أما كون الابن ليس له بداية وجود، وأنه قبل التجسد كان مع الآب منذ الأزل، فهذا ما يوضحه يوحنا فى رسالته الأولى، إذ يقول: "الذى كان منذ البدء، الذى سمعناه، الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه ولمسته أيـدينا من جهة كلمة الحياة فإن الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبديـة، التى كانت عند الآب وأظهرت لنا" (١يو١:١،٢). وبينما يقول هنا إن "الحياة كانـت عند الآب"، ولم يذكر أنها "خُلقت"، فإنه فى نهاية رسالته يقول إن الابن هو الحيـاة، كاتباً هكذا: "ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح، هذا هو الإلـه الحـق والحيـاة الأبدية" (١يو٥:٢٠). فإن كان الابن هو الحياة، والحياة كانت عند الآب، وإن كـان الابن عند الآب، والإنجيلى نفسه يقول: "والكلمة كان عند الله" (يـو١:١)، فلابـد أن يكون الابن هو "الكلمة" الذى هو عند الآب منذ الأزل.

---

[٢٨] أنظر الفصل الواحد والعشرين من هذا المقال.

وكما أن الابن هو"الكلمة"، فلابد أن يكون الله هو الآب. كما أن الابن بحسب يوحنا ليس هو مجرد إله، بل الإله الحق، لأنه بحسب نفس الإنجيلى: "والكلمة كان الله" (يو ١:١). وقال الابن: "أنا هو الحياة" (أنظر يو ١٤:٦). لهذا فالابن هو "الكلمة" والحياة الكائن عند الآب. وأيضاً ما قبل فى إنجيل يوحنا نفسه: "الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب" (يو ١٨:١)، يوضح أن الابن موجود الأزل. لأنه هذا الذى يدعوه يوحنا بالابن، يدعوه داود يد الله فى المزمور قائلاً: "لماذا ترد يدك ويمينك من وسط حضنك؟" (مز٧٣: ١١س). لهذا إن كانت "اليد" فى الحضن، والابن فى الحضن، فإن الابن سيكون هو اليد، واليد ستكون هى الابن، الذى به خلق الآب كل شئ: "يدك صنعت كل شئ" (إش٦٦: ٢)، "أخرج (الرب) الشعب بيده (من مصر)" (أنظر تث٧: ٨)، أى بواسطة الابن. وإن كانت عبارة: "هذا هو تغيير يمين العلى" (مز٧٦: ١١س) وأيضاً: "حتى النهاية، بخصوص الأمور التى سوف تتغير، ترنيمة لحبيبى" (مز٤٤: ١س) فإن الحبيب لابد أن يكون هو اليد التى غيرت. الذى يقول عنه الصوت الإلهى أيضاً: "هذا هو ابنى الحبيب" مت٣: ١٧) إذن فعبارة "هذه يدى" تساوى "هذا ابنى".

٢٧- وحيث إن هناك أناس غير فاهمين، الذى ينكرون التعليم عن الابن، يستخفون بالآية: "من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك" (مز١١٠: ٣س)، وكأنها تشير إلى علاقته بالعذراء مريم، زاعمين أنه وُلد من مريم قبل كوكب الصبح، وأنه من غير المناسب أن يكون الكلام عن بطن الله، لذلك يجب أن نذكر هنا بضع كلمات... فإن كان بسبب أن "البطن" بشرية، فإنها لذلك تكون غريبة عن الله، فمن الواضح أن لفظة "قلب" أيضاً تعبر عن شئ بشرى[٢٩]، لأن الذى له قلب، له بطن أيضاً. ولأن الاثنين هما بشريان، فإننا إما أن نرفض الاثنين أو أن نشرح معنيهما. فكما تأتى الكلمة من القلب، فإن الوليد يكون من البطن، وكما أنه حينما يكون الكلام عن قلب الله، فإننا لا نقصد بذلك المعنى البشرى، هكذا أيضاً عندما يذكر الكتاب"من البطن" لا يجب أن نعتبر أن هذا الكلام بمعناه الجسدى. لأنه من عادة الكتاب الإلهى أن يتحدث

[٢٩] أنظر الفصل الرابع والعشرين من هذا المقال.

ويعبر عن ما هو أسمى من الإنسان بأسلوب بشرى. لهذا حين يتكلم الكتاب عن الخلق يقول: "يداك صنعتانى وحبلتانى" (مز١١٨:٧٣)، و "يدى صنعت كل هذا" (إش ٢:٦٦)، "هو أمر وكلها خُلقت" (مز١٤٨:٥. ولغته إذن مناسبة للحديث عن كل شئ، إذ يُعزى إلى الابن ما هو ذاتى وأصيل، وينسب إلى الخليقة بداية وجود، لأن الإله الواحد هو يخلق ويجبل، وهو الذى يلد من ذاته: "الكلمة" والحكمة. إذن: "البكن" و"القلب" يعلنان عما هو ذاتى وأصيل، وينسب إلى الخليقة بداية وجود، لأن الإله الواحد هو يخلق ويجبل، وهو الذى يلد من ذاته: "الكلمة" والحكمة. إذن: "البطن" و"القلب" يعلنان عما هو ذاتى وأصيل، لأننا نحن أيضاً لنا أصلنا (أى نُولد) من البطن (البشرى)، لكننا نصنع أعمالنا بواسطة اليد.

٢٨- وهم يسألون ماذا يعنى "قبل كوكب الصبح"؟ وأنا أجيب: إنه إن كانت عبارة "قبل كوكب الصبح" توضح أن ميلاده (من العذراء مريم) كان عجيباً، فإن كثيرين آخرين غيره قد وُلدوا قبل بزوغ هذا الكوكب. فما هو الأمر الذى قيل عنه إنه هكذا عجيب فى حالته، حتى ذكره كامتياز[٣٠] (عن الباقين)، بينما هو أمر شائع لدى كثيرين؟.

ثم أن الميلاد يختلف عن الإثمار، لأن الميلاد هو الأصيل، أما الإثمار فليس سوى ناتج مما هو موجود. فإن كان القول يناسب الجسد، فلنلاحظ أنه لم تكن بداية تكوينه حينما بُشر الرعاة بولادته ليلاً، لكن عندما بشر الملاك للعذراء فذلك (التبشير) لم يكن ليلاً، لأن هذا الوقت، لم يُذكر، لكننا نجد أن الوقت كان ليلاً حينما خرج من البطن. هذا الفارق يضعه الكتاب فيقول من جهة، إنه وُلد قبل كوكب الصبح، ومن جهة أخرى يتحث عن خروجه من البطن كا ورد فى المزمور الواحد والعشرين "أنت الذى قد اجتذبتنى من البطن" (مز٢١:١٠)، كما أنه لم يقل "قبل بزوغ كوكب الصبح" بل قال ببساطة "قبل كوكب الصبح".

فإن كانت العبارة يقصد بها الجسد، فإما أن الجسد كان قبل آدم لأن الكواكب كانت قبل آدم. أو علينا أن ندرس معنى النص، وهذا ما يساعدنا يوحنا على عمله إذ يقول

(٣٠) المرجع السابق: ضد الآريوسيين ٢:١٩.

فى سفر الرؤيا: "أنا الألف والياء، الأول والآخر، البداية والنهاية، طوبى للذين يصنعون وصاياه. لكى يكون سلطانهم على شجرة الحياة، ويدخلوا من الأبواب إلى المدينة. لأن خارجاً الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحيا ويصنع كذباً. أنا يسوع أرسلت ملاكى لأشهد لكم بهذه الأمور عن الكنائس. أنا أصل وذرية داود، كوكب الصبح المنير. والروح والعروس يقولان تعال، ومن يسمع قليل تعال. ومن يعطش فيأت ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً" (رؤ٢٢:١٣-١٧). فإن كان "ذرية داود" إذن هو "كوكب الصبح المنير"، فمن الواضح أن جسد المخلص يُدعى "كوكب الصبح"، وسبق هذا، الولادة من الله. لهذا فإن معنى المزمور، يكون هكذا: أنا ولدتك من ذاتى قبل ظهورك فى الجسد لأن "قبل كوكب الصبح" يساوى "قبل تجسد الكلمة".

٢٩- هكذا توجد نصوص واضحة بخصوص الابن فى العهد القديم أيضاً، وفى نفس الوقت أنه من ناقلة القول أن يجادل أحد فى هذه النقطة: لأنه إن كان ما لم ينص عليه العهد القديم يكون من زمن لاحق، فليقل الذين يحبون الجدل أين ذُكر الروح القدس باسم الباراقليط فى العهد القديم؟ لأنه قد ذُكر الروح القدس، ولكن لم يرد ذكر الباراقليط إطلاقاً. فهل الروح القدس إذن واحد، والباراقليط آخر. والباراقليط هو اللاحق، لأنه لم يرد ذكره فى العهد القديم؟ لكن حاشا أن نقول إن الروح القدس لاحق أو أن نميز ونقول إن الروح القدس واحد والباراقليط آخر، لأن الروح القدس واحد وهو نفسه الذى يقدس ويعزى فيما مضى والآن، أولئك الذين يقبلونه.

كما أن الابن هو نفسه "الكلمة" وهو الذى قاد عندئذ أولئك الذين كانوا مستحقين إلى تبنى البنين[٣١]. والذين كانوا أبناء فى العهد القديم قد صاروا أبناء بواسطة الابن وحده، وليس بواسطة آخر. لأنه إن لم يكن ابن الله موجوداً قبل مريم فكيف يكون هو قبل الجميع، إن كان هناك أبناء قبله؟ وكيف يكون "الابن البكر" إن كان قد جاء ثانياً بعد أبناء كثيرين؟. كما أن الباراقليط ليس ثانياً لأنه كان قبل الجميع، ولا الابن أيضاً حديث الوجود لأنه: "فى البدء كان الكلمة" (يو١:١). وكما أن الروح

(٣١) المرجع السابق: أنظر ضد الأريوسيين ٣٩:١.

والباراقليط هما نفس الشخص، هكذا الابن و"الكلمة" هما الشخص ذاته. ومثلما يقول المخلص بخصوص الروح القدس: "وأما المعزى (الباراقليط) الروح القدس الذى سيرسله الآب بأسمى" (يو١٤:٢٦) متحدثاً عن شخص واحد بعينه، دون أى تمييز بينهما، هكذا يصف يوحنا بمثل مشابه، حين يقول "والكلمة صار جسداً، وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لابن وحيد من الآب" (يو١:١٤). لأنه يشهد هنا أيضاً بوحدة الشخصية ولا يفرق. وحيث إن الباراقليط ليس واحداً والروح القدس آخر، بل هما شخص واحد بعينه، هكذا ليس "الكلمة" واحداً والابن آخر، بل "الكلمة" هو الابن الوحيد. لأنه لم يُنسب المجد إلى الجسد، بل إلى "الكلمة" ذاته، فمن يتجاسر إذن ويفرق بين "الكلمة" والأبن، فليفرق بين الروح والباراقليط. لكن إن كان الروح لا يمكن تقسيمه، فإن "الكلمة" أيضاً لا يمكن تقسيمه، إذ هو ذاته ابن وحكمة وقوة. بالإضافة إلى أن تعبير "المحبوب" مساوٍ لتعبير الابن الوحيد، وهو ما يعرفه اليونانيون الماهرون فى التعبير، إذ يتحدث هوميروس هكذا عن تليماخوس الذى كان الابن الوحيد لأوديسيوس، فى الكتاب الثانى من الأوديسا:

"أى فكر عبر بذهنك، أيها الابن المحبوب؟ وإلى أين تريد أن تهرب، مع أنك وحيد ومحبوب وتملك حقولاً شاسعة؟

إن الذى تبكيه يا أوديسيوس، يا من نسل الإله زفس،

قد سقط بعيداً عن وطنه، وسط الشعوب الغريبة".

إذن فإن الابن الذى هو ابن وحيد لأبيه يُدعى محبوباً.

٣٠- يميّز بعض أتباع بولس الساموساطى بين "الكلمة" والابن، زاعمين أن الابن هو المسيح وأن "الكلمة" آخر، وهم يؤسسون ذلك على كلمات بطرس فى سفر الأعمال، والتى نطق بها حسناً، ولكنهم فسروها تفسيراً ردياً. وهى: "الكلمة التى أرسلها إلى بنى إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح. هذا هو رب الكل" (أع١٠:٣٦)، لأنهم يزعمون أنه ما دام "الكلمة" تكلم بالمسيح، كما يُقال فى حالة الأنبياء "يقول الرب" (أع١٠:٣٦) فإن النبى كان واحداً والرب آخر. لكن هذا النص يضاد كلمات الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: "وأنتم متوقعون استعلان ربنا

يسوع المسيح الذى سيثبتكم أيضاً إلى النهاية بلا لوم، فى يوم ربنا يسوع المسيح" (١كو٨،١:٧).

لأنه كما أن مسيحاً واحداً لا يثبت يوم مسيح آخر، بل هو نفسه الذى يُثبت فى يومه الخاص أولئك الذى ينتظرونه، هكذا أرسل الآب "الكلمة" الذى صار جسداً حتى أنه حال كونه قد صار إنساناً، يكرز بواسطة نفسه. ولهذا يضيف مباشرة: "هذا هو رب الكل" لأن رب الكل هو "الكلمة".

٣١- "ثم قال موسى لهارون: تقدم إلى المذبح وأعمل ذبيحة خطيتك ومحرقتك، وكفر عن نفسه وعن شعبك، وأعمل قربان الشعب وكفر عنه، كما أمر الرب موسى" (لا٩:٧).

تأملوا الآن هنا، أن موسى رغم أنه واحد، فإن موسى نفسه، وكأنه يتحدث عن موسى آخر يقول: "كما أمر الرب موسى". وبنفس الأسلوب إن كان الطوباوى بطرس يتكلم عن "الكلمة" الإلهى أيضاً، والمُرسل إلى بنى إسرائيل بواسطة يسوع المسيح، فلا يجب أن نفهم بالضرورة أن "الكلمة" واحد والمسيح آخر، بل إنهما واحد ونفس الشخص بسبب الوحدة التى حدثت فى تنازله الإلهى وحبته للبشر وتجسده. وحتى إن فهم بطريقتين[٣٢]، فإن "الكلمة" لا يزال غير منقسم، كما يقول المُلهم يوحنا: و"الكلمة صار جسداً وحل بيننا" (١٤:١).

إذن، فما قاله الطوباوى بطرس هو حسن وصواب[٣٣]، لكن أتباع السموساطى يفهمونه ردياً وخطأً ويبعدون عن الحق (أنظر يو٤٤:٨). لأن المسيح يُفهم بطريقتين فى الكتاب الإلهى، كما يقول الكتاب إن: "المسيح قوى الله وحكمة الله" (أنظر ١كو٢٤:١). فإن كان بطرس يقول إن "الكلمة" أرسل إلى بنى إسرائيل بيسوع المسيح، فلنفهم أنه يعنى أن "الكلمة" إذ تجسد ظهر لبنى إسرائيل، ليتوافق هذا مع آية: "والكلمة صار جسداً" (يو١٤:١). لكن إن كانوا يفهمون الأمر بشكل آخر، وبينما يعترفون أن "الكلمة" هو الله، كما هو كذلك (فعلاً) فإنهم يفصلون عنه الإنسان

[٣٢] المرجع السابق: أنظر ضد الآريوسيين٢٩:٣.

[٣٣] المرجع السابق أنظر ضد الآريوسيين ٤٤:٢.

الذى أخذه – والذى نؤمن نحن أنه واحد معه – زاعمين أنه أرسل بواسطة يسوع المسيح، وهم بذلك ينقاضون أنفسهم دون أن يعلموا، فأولئك الذين يفصلون "الكلمة" الإلهى عن التجسد الإلهى يبدون أن لديهم مفهوماً متدنياً عن تعليم كونه صار جسداً، ويعتنقون الأفكار الوثنية، متصورين أن التجسد الإلهى هو تغيير "للكلمة".

٣٢– لكن الأمر ليس كذلك، حاشا. لأنه بالطريقة التى يكرز بها يوحنا عن هذا الاتحاد الذى لا يُعبر عنه، والذى بواسطته "يُبتلع المائت من الحياة" (٢كو٥:٤)، بل الذى هو الحياة ذاتها كما قال الرب لمرثا: "أنا هو الحياة" (يو١١:٢٥). هكذا أيضاً حينما يقول الطوباوى بطرس إن "الكلمة" قد أُرسل بواسطة يسوع المسيح، فإنه يعنى الاتحاد الإلهى، لأنه مثلما يسمع إنسان أن "الكلمة صار جسداً" فإنه لا يعتقد أن "الكلمة" لم يعد "كلمة" بعد، فهذا أمر غير معقول، كما سبق أن قلنا، هكذا أيضاً عندما يُسمع أن "الكلمة" اتحد بالجسد، فلُيفهم أن سر التجسد الإلهى واحد وبسيط والأكثر وضوحاً، والذى لا يقبل الجدل من أى عاقل هو ما قاله رئيس الملائكة فى بشارته لوالدة الإله نفسها، إذ يبين وحدانية "الكلمة" الإلهى والإنسان. لأنه يقول: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله" (لو١:٣٥). إذن فأتباع الساموساطى بلا تعقل، يقسمون "الكلمة" الذى أعلن عنه بوضوح أنه صار واحداً مع الإنسان المولود من مريم. لهذا "فالكلمة" لم يُرسل بواسطة ذلك الإنسا، بل بالحرى أرسل فيه قائلاً: "أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم" (مت٢٨:١٩).

٣٣– وهذه عادة الكتاب المقدس أن يكون التعبير بالكلمات بسيطاً ودون تكلف. فنجد مثلاً فى سفر العدد: "قال موسى لرعوئيل المديانى حمى موسى" (عد١٠:٢٩). لأنه لم يكن هناك موسى يتكلم، وموسى آخر حماه هو رعوئيل، بل كان هناك موسى واحد، لأنه إن كان "كلمة" الله وحكمته – بنفس الطريقة – يُدعى أيضاً حكمة وقوة ويمين وذراع وما شابه ذلك، وإن كان لمحبته للبشر قد أتحد بنا، لابساً باكورتنا ومتحداً بها، لهذا أيضاً كان من الطبيعى أن تصبح الألقاب الأخرى من نصيب "الكلمة". لأن هذا ما قاله يوحنا، إن "الكلمة" كائن منذ البدء وإنه عند الله وهو نفسه

الله، وإن كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان (أنظر يو١:١-٣)، مما يوضح جلياً إن الإنسان نفسه مخلوق بواسطة الله "الكلمة". فإذا كان قد أتخذه لنفسه – بعد أن كان ضد ضعف – وجدده ثانية بهذا التجديد الأكيد لكى يدوم إلى الأبد، ولهذا أتحد به لكى يرفعه إلى نصيب إلهى أكثر سواً، فكيف يمكن القول إن "الكلمة" أرسل بواسطة الإنسان المولود من مريم، ويدعونه رب الرسل ويعدونه مع الرسل الآخرين أعنى الأنبياء، الذين أرسلوا بواسطته؟ وكيف يمكن أن يُدعى المسيح "مجرد إنسان"؟ بينما إذ صار متحداً مع "الكلمة"، فإنه يُدعى المسيح "مجرد إنسان"؟ بينما إذ صار متحداً مع "الكلمة"، فإنه يُدعى المسيح وابن الله، وقد أعلن النبى منذ زمن بعيد وصرح بوضوح ناسباً جوهر الآب له قائلاً: "سأرسل ابنى مسيحى" (عزر٧١:٢٨، ٢٩ مع أع٣:٢٠). وفى نهر الأردن قال: "هذا هو ابنى الحبيب" لأنه حينما حقق وعده، أظهر حسبما كان لائقاً به، أنه كان هو ذاك الذى قال إنه قد أرسله.

٣٤- فلنفهم المسيح بطريقتين: (أولاً) "الكلمة" الإلهى الذى صار واحداً مع الذى من مريم، لأن "الكلمة" قد شكل لنفسه بيتاً فى بطنها، مثلما خلق آدم فى البدء من الأرض، ولكن بصورة سماوية إلهية، وهو ما تحدث عنه سليمان بصراحة، عالماً أن الكلمة تُدعى حكمة أيضاً قائلاً: "الحكمة بنت لنفسها بيتاً" (أم٩:١س) التى يفسرها الرسول حين يقول "وبيته نحن" (عب٣:٦). (ثانياً) وفى موضع آخر يدعونا هيكلاً بقدر ما يليق بالله أن يسكن هيكلاً، والذى صورته التى من حجارة، قد أُمر الشعب القديم أن يبنيها بواسطة سليمان، وعندما ظهر الحق توقفت الصورة. لأنه حينما حاول الجاحدون أن يثبتوا أن الصورة هى الحق، وأن ينقضوا سكناه الحقيقة تلك التى نؤمن نحن يقيناً أنها بمثابة اتحاده معنا، لم يهددهم، لكنه إذ يعلم أنهم يجرمون فى حق أنفسهم، يقول لهم: "انقضوا هذا الهيكل وأنا أقيمه فى ثلاثة أيام" (يو٢:١٩). ويُظهر خلصنا هكذا حقاً أن الأمور التى يشغل الناس بها أنفسهم، إنما تحمل معها فناءهم، لأنه "إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون، وإن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحراس" (أنظر مز١٢٧:١). وهكذا انحلت أعمال اليهود، لأنها كانت ظلاً، أما الكنيسة فهى مؤسسة بثبات لأنها مبنية على الصخر، و "أبواب

الجحيم لن تقوى عليها" (أنظر مت١٦:١٨). وأما أولئك فيقولون له "كيف وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً"؟ (أنظر يو١٠:٣٣)[٣٤]. ومن ثم فإنه من الطبيعى أن يُعلم تلميذهم الساموساطى هرطقته لأتباعه. "وأما نحن فلم نتعلم المسيح هكذا، إن كنا قد سمعنا وعُلمنا فيه... خالعين الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور... ولابسين الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق" (أنظر ٤:٢٠-٢٤). فلنتأمل المسيح إذن بتقوى، بكلا الطريقتين.

٣٥- إن كان الكتاب كثيراً ما يطلق اسم المسيح على الجسد مثلما تكلم الطوباوى بطرس مع كرنيليوس معلماً عن "يسوع الناصرى الذى مسحه الله بالروح القدس"، ومع اليهود أيضاً: "يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله" (أع١٠:٣٨، ٢:٢٢). ويقول الطوباوى بولس أيضاً لأهل أثينا: "أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدماً للجميع إيماناً، إذ أقامه من الأموات" (أع١٧:٣١). لأننا نجد التعيين والإرسالية مرادفين للمسحة فى مرات كثيرة، لكى يعرف الجميع أنه لا تناقض فى كلمات (الكتاب) القديسين، لكنهم يطلقون تسميات مختلفة على اتحاد الله "الكلمة" بالإنسان الذى من العذراء مريم، مرة بإعتباره مسحة، ومرة بإعتباره إرسالية ومرة بإعتباره تعييناً.

ولهذا فإن ما يقوله الطوباوى بطرس صواب[٣٥]، فهو يكرز بلاهوت الابن الوحيد الجنس، دون أن يفصل أقنوم الله "الكلمة" عن الإنسان الذى من مريم، حاشا! لأنه كيف يفعل ذلك وهو الذى سمع عدة مرات أقوال المسيح: "أنا والآب واحد"، و"من رآنى فقد رأى الآب". وهو (المسيح) الذى نعلم أنه جاء إلى جماعة الرسل كلهم بعد القيامة أيضاً، والأبواب مُغلقة، وبكلماته بدد كل ما عَسُر على الإيمان قائلاً: "جسونى وأنظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى" (لو٢٤:٣٩). ولم يقل "هذا الإنسان" الذى أخذته لى، بل قال: "لى".

---

(٣٤) المرجع السابق: ضد الآريوسيين ١:٤، ٣:٢٧.

(٣٥) المرجع السابق: ضد الأريوسيين ٢:٤٤.

لهذا فإن رأى الساموساطى لن ينال أى قبول، إذ تم دحض رأيه بالنسبة لاتحاد الله "الكلمة" (بالجسد) بردود من الكتاب، وبواسطة الله "الكلمة" نفسه، والذى يعطى الآن المعرفة للجميع، ويسمح لهم أن يعرفوه عن طريق الأكل، وبلمسهم إياه والتأكد منه. لأن هذا الذى يعطى الطعام لآخرين وأولئك الذى يقدمون له الطعام تتلامس أيديهم معا. لأن الكتاب يقول إنهم: "ناولوه جزءاً من سمك مشوى، وشيئاً من عسل، فأخذ وأكل قدامهم" (لو٢٤:٣٢).

ورغم أنه لم يسمح لهم بمثلما سمح لتوما، لكن ها هو هنا قد سمح لهم بطريقة أخرى أن يتأكدوا منه بلمسهم إياه. ولكن إن أردت أن ترى جراحه فلنتعلم من توما: "هات أصبعك إلى هنا وأبصر يدى، وهات يدك وضعها فى جنبى" (يو٢٠:٢٧) هكذا يتحدث الله "الكلمة"، مشيراً إلى جنبه[٣٦] ويديه بالذات، وعن نفسه بالكامل كإنسان وإله معاً. معطياً أولاً للتلاميذ القديسين أن يدركوا "الكلمة" بواسطة الجسد بدخوله والأبواب مغلقة (أنظر يو٢٠:١٠)، ثم اقترابه منهم بجسده يوفر لهم اليقين الكامل. كل هذه نقولها لتثبيت المؤمنين، وتصحيح أخطاء الذين لا يؤمنون.

٣٦- فليصحح بولس الساموساطى موقفه إذ يسمع الصوت الإلهى القائل "جسدى" ولم يقل المسيح إن: "المسيح" شخص آخر غيرى أنا "الكلمة" بل قال: "هو معى وأنا معه" (أنظر مت٢٦:٢٦). لأنى أنا "الكلمة"، والمسحة، والإنسان الذى نال المسحة منى هو[٣٧]، وهو بدونى لا يمكن أن يُدعى المسيح، لأنه (يُدعى هكذا) لكونه متحد بى وأنا فيه. لهذا، فإن ذكر إرسالية "الكلمة" يوضح الاتحاد الذى تم مع يسوع المولود من مريم، والذى يعنى اسمه مخلص، بسبب إتحاده بالله "الكلمة"، وليس لأى سبب آخر. وهذا النص (السابق) له نفس معنى قوله: "الآب الذى أرسلنى" ، "ولم آت من نفسى، لكن الآب أرسلنى" (أنظر يو٦:٤٤، ٨:٤٢). لأنه أطلق اسم الإرسالية على الاتحاد مع الإنسان، والذى معه يمكن أن يُعرف الناس الطبيعة غير المنظورة من خلال طبيعته المنظورة. لأن الله لا ينتقل من مكان إلى آخر مثلنا نحن، حينما

[٣٦] المرجع السابق: ضد الآريوسيين ٣:٣٣.

[٣٧] المرجع السابق: ضد الآريوسيين ١:٤٧.

يُظهر نفسه فى شكل تواضعنا أثناء وجوده فى الجسد. لأنه كيف يسكن منحصراً فى مكان ذلك الذى يملأ السموات والأرض؟ ولكن بسبب حضوره فى الجسد، فإن الأبرار قد تكلموا عن إرساليته.

لهذا فإن الله "الكلمة" هو نفسه المسيح الذى من العذراء مريم، إله قد صار إنساناً، وليس مسيحاً آخر بل هو ذاته، فهو الذى من الآب منذ الأزل، وهو نفسه الذى جاء من العذراء فى أواخر الدهور، والذى كان غير منظور قبلاً حتى للقوات المقدسة بالسماء، وقد صار منظوراً الآن بسبب اتحاده مع الإنسان المنظور، ليس فى لاهوته غير المنظور، بل يفعل اللاهوت خلال الجسد البشرى والإنسان كله، الذى جدده بإتخاذه إياه لنفسه.

له الكرامة والسجود، ذاك الذى كان والكائن الآن

والكائن على الدوام إلى دهر الدهور. آمين.